البتولية في فكر الآباء

الكتـــاب : البتولية فى فكر الآباء.
إعـــداد : أنطون فهمى چورچ
الطبعـــة : الأولى - ١٩٩٦ م.
المطبعـــة : مطابع كونكورد ت - ٢٠٥٧٩٠٢ - ٢٠٥٧٩٠٣
رقم الايداع : ٤٦٣٦ / ٩٦

يُطلب من :

مكتبة كنيسة مارجرجس ـ اسبورتنج ـ الاسكندرية
ص. ب. ١٧ الابراهيمية ـ ت . (٠٣/٥٩٦٩٨٨٨) .

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الترقيم الدولى 977-5005-18-3

مقدمة

تحدث الآبـاء عن «البتولـية» كنذر إنجيلى عاشـوه واختبـروه ، لذلك أتت كتاباتهم لتفصح عن جمال عظمتها ومجدها ، مع الإهتمام بالكشف عن طبيعتها كحياة كنسية إنجيلية أصيلة .

والحقيقة أن علم الباترولوچى يكشف لنا إنجيلية الحياة البتولية من حيث فكرتها وإتجاهاتها وغايتها وطريقة عيشها ، على اعتبار أنها فائقة للطبيعة: سر الحياة السمائية والتشبه بالسمائيين .

وأفاضت كتابات الآباء فى وصف ومدح البتولية وفى شرح مفهومها كحياة ملائكية مُفرحة لها مقوماتها وطريقها ليس كغاية فى ذاتها إنما طريقة دخول فى المعية الإلهية .

إلا أن معظم ما كُتب عن البتولية إنما يقترن بالحياة النسكية التى تؤكد الوثائق الأولى على تعريفها بأنها شركة آلام المسيح ، وبأنها أيقونة حية للحب الحق ودخول إلى الحياة الفردوسية ، وبأنها إمتداد لحركة الاشتياق للاستشهاد مع المسيح ومن أجله .

وفى واقع علم الباترولوچى نفهم حياة النسك بصفة عامة ونذر البتولية بصفة خاصة كحياة إنجيلية فصحية مجيئية وسرائريـة ، تلتقى فيها النفس مع عريسـها الإلهى وتدخل لتجد نفسها فى حجال المسيح الملك فتعيش حياة الفرح المخفى .

لقد قدمت لـنا كتابات الآبـاء شهادة حية تحوى الكثير عن البتولية كحياة ، إما فى كتابات مباشرة ، أو بالحديث العرضى فى عظة أو مقال روحى أو تفسير كتابى... وجاءت ايضاً بعض الكتابات ضمن أقوال وسير الآباء النساك .

وهناك آبـاء اهتـموا بالكتابـة عن البتولية إهتماماً خاصـاً فأفردوا لها كتـباً ذات فكر كنسى شامل معطين إياها نوعاً من الإستقلال ، فجاءت دسمة متنوعة مشبعة بالجانب

النسكى والعقيدى والدفاعى بأبعاده السرية والرمزية والروحية .

إن هـذه الدراسـة التى نقدمـها ضمن سلسلـة **اخثوس** IXΘYΣ تلبى حاجـة فى صـفوف المـهتمين بأقـوال الآبـاء وبالحـياة التكريسـية... إذ أن الـرجـوع إلـى هـذه الينابيع الروحية يوسع أفقنا الروحى ويعمق فهمنا ، فالحقيقة أننا بأمس الحاجة إلى السلوك بحسب فكر ومنهج الآبـاء ، الأمـر الذى يقوده ويشجـعه فى جيلنا المعاصـر خليفة الآبـاء البابا المكرم **الأنبا شنوده الثالث** أطال الله حياته .

ذلك أن الكتاب الذى بين أيدينا يحمل مسيرة حلوة سعى إليها آباء الكنيسة سعياً حثيثاً لا يتعب ولا يفتر بل فى مجانيـة الإشتـياق و«الشوق إلى الله» فى معناه المُضاعف المعاش والمختبر ، كلمونا بخبرة حقيقية لا تتوقف عن المسير أبداً ، مريدين أن يعلمونا الطريقة التى نسلك فيها .

ويتضمن هذا الكتاب أقوالاً وكلمات ذات جمال أدبى فى طليعة الأدب الصوفى العالمى ـ فهو كتاب كلاسيكى فى الأدب النسكى الأرثوذكسى ـ إلا أننا نقدمها فى نور الروح القدس لتبلغ بنا إلى الله ، نقدمـها لتكون أعـمق من الكـلام المكتوب ، طعامـاً روحـياً يغذينا ويحيينا ، نقدمها نموذجاً وقياساً للسالكين فى دروب التكريس لتقديم مثل السيرة البتولية ، نقدمـها إلى الأحـباء الذين تكرسـوا للعريس الختن الحقيقى من رهبان وعذارى ومكرسين .

ولا يسعنى إلا أن أسجد للثالوث القدوس المبارك من أجـل هذا العمل الذى تبلورت فكرته فى زيارتى الخلوية لدير مارجرجس الحرف الفردوس الأرضى بلبنان ، وهناك تأثرت كثيراً بما شاهدت ورأيت ولمست ، فلا عجب أن يكون ذلك كذلك وهم الذين قدموا لنا كنوز ودُرر الآباء: أصول الحياة الروحية ـ السلم إلى الله ـ أقوال الآباء الشيوخ ، وغيرها من الكتابات الأبائية الدسمة ، التى صارت «جسراً ناقلاً» وشاهداً قوياً فى هذا العصر للأرثوذكسية الشاملة الجامعية .

شكراً لهم على ما قدمـوه وما يقدموه من عمل ذهنى وعلى تأسيسهم لـ «منشورات التراث الآبائى» من أجل التمتع باللاهوت الكنسى الأرثوذكسى .

إننى أهـدى هـذا العـمل المتواضـع إلى روح الوحـدة المسكونية ، إلى الأب الجزيل الإحترام **الأرشمندريت ألياس مرقس** رئيس ديـر مارجرجـس الحـرف بجـبل لبنان ، وإلى **الأرشمندريت أفرآم كرياكوس** بديـر مارميخايل ـ بسكنـتا ـ لبنان ـ راجـياً لهما عـمراً مديداً .

إنه الوقت المناسب الآن لوحدة الكنيسة الأرثوذكسية ، لتستعيد مكانتها ودورها اللاهوتى والخلاصى والاجتماعى ، من أجل حفظ التقوى وحفظ حضور كنائس الشرق على المستوى العالمى الكنسى ، ذلك الحلم الذى يحققه الآن قداسة البابا المعظم **الأنبا شنوده الثالث** لا كحقيقـة نظريـة بـل كواقـع معاش ، جاعلاً من روح وفكر ونسك وحياة الآباء نمط عمل... فليحفظه الرب فى كل حين فى كنيسته المقدسة إلى منتهى الأعوام وإلى يوم المجئ .

وللثالوث القدوس المبارك كل المجد والكرامة

من الآن وإلى الأبد .

١٣ فبراير ١٩٩٦م

تذكار نياحة

القديس يوحنا الحبيب البتول

أنطون فهمى چورج

أخثوس ـ $IX\Theta Y\Sigma$

البتولية فى فكر الآباء

الفصل الأول : البتولية عند الآباء الرسوليين والمدافعين

الفصل الثانى : البتولية عند آباء الاسكندرية

الفصل الثالث : البتولية عند الأقمار الثلاثة

الفصل الرابع : البتولية عند الآباء السريان

الفصل الأول

البتولية عند الآباء الرسوليين والمدافعين

ظهرت الكتابات عن البتولية مبكراً منذ العصر الرسولى ومن بعده فى زمن الآباء الرسوليين ، فجاءت كتاباتهم وأقوالهم معبرة عن إهتمامهم بحياة البتولية ، خلال رسائل القديس كلمنضس الرومانى (أسقف روما فى القرن الأول) ، وخلال الديداكية (تعليم الرب للرسل الإثنى عشر) (١٠٠-١٥٠م) وخلال كتابات الراعى هرماس وكتابات القديس أغناطيوس الأنطاكى .

فأفاضوا فى مدح البتولية وتمجيدها ، واظهروا تقدير الكنيسة فى العصر الرسولى وما بعده للبتولية وللمتبتلين كطغمة من طغماتها ، إذ أنها كرمتهم وجعلت أماكن جلوسهم فى الصفوف الأولى بالكنيسة فى مقدمة جماعة المؤمنين .

وتُعتبر الرسالتان المنسوبتان **للقديس كلمنضس الرومانى** تلميذ الطوباوى بطرس الرسول ، أقدم وثيقتين لتاريخ البتولية وقوانين الحياة النسكية ، إذ تمثلان مدحاً لحياة البتولية كعمل إلهى فائق للطبيعة وكحياة ملائكية ، ويتحدث فيهما الكاتب عن طبيعة البتولية ومفهومها كحياة روحية وجسدية وليست مجرد ألقاب .

تتحدث الرسالة الأولى مخاطبة كل الذين يحبون المسيح وينشغلون به ، المتبتلين الطوباويين الذين كرسوا أنفسهم لحفظ البتولية من أجل ملكوت السموات متأهلين فى كل شئ بالبر والإيمان ليكون لهم نعمة وفطنة صالحة قدام الله والناس .

وتحرص الرسالة على اعتبار أن سبل البتوليين ينبغى أن تكون كنور مشرق يتزايد نوره ليصل إلى النهار الكامل ، وعلى أن أشعة نورهم ينبغى أن تضئ الخليقة كلها من الأعمال الصالحة ، ملتزمين بالكمال فى الكلمات والأفعال متزينين فى حياتهم بسلوك نموذجى وترتيب .

كما ركزت الرسالة على ضرورة أن يكون المتبتلون مثالاً للمؤمنين وأن يسلكوا فى أعمال كاملة لائقة ، إذ لا يقدر الإنسان أن يخلص لمجرد أنه بتول ، فقد دعى ربنا مثل

هذه البتولية «جهلاً» كما جاء فى الإنجيل ، ويعتبر كاتب الرسالة أن منْ ينكر قوة البتولية والقداسة إنما يقدم عبادة باطلة ، وتعتبر بتوليته من نوع دنس .

وتشرح الرسالة مفهوم البتولية بطريقة عملية باعتبارها إنسحاب وإنفطام عن الشهوات وكذلك كإختبار للحياة الإلهية السمائية على مثال الملائكة القديسين ، عملها سامى عظيم ، لها أتعابـها ومشقاتـها الحقة التى لا تتوقف وعملها المقدس الكريم ومصارعتها القانونية للنصرة على التنين والأسد والحية والشيطان ، ومن ثم يصير مجد البتولية وسمو رفعتها ودعوتها العليا .

كما تقدم الرسالة نماذج لشخصيات عاشت عظمة البتولية التى تعتبرها إمتثال بالمسيح فى كل شئ ، وبالعذراء البتول التى أخذ من جسدها البتول جسده ، وتقدم ايضاً نذير ربنا يوحنا المعمدان كنموذج للسيرة البتولية ، وكذلك سميه يوحنا الحبيب الذى إتكأ على صدر ربنا ، كما تقدم القديس بولس وبرنابا وتيموثاوس نماذج لقداسة البتولية ، علاوة على إيليا وإليشع وكثيرين من الذى يجب أن نتشبه بهم .

وحرصت الرسالة على إبراز حتمية بتولية الروح إلى جوار بتولية الجسد ، إذ ليس من البتوليين منْ لم يكن مثل المسيح فى كل شئ ، والذين هم متبتلون يفرحون لأنهم يصيرون مثل الله (الآب) ومسيحه ، فلا يكون فيهم فكر الجسد الذى هو عداوة لله ، لأن البتوليين خاصة ليس فيهم شئ من فكر الجسد بل تكون فيهم ثمار الحياة ويكونون مدينة وبيوتاً وهياكل لسكنى الله ، ويظهرون للعالم كأنوار مستحقة للمدح والإفتخار ولأكاليل الفرحة والبهجة .

تحذر الرسالة من المخاطر والعثرات والشباك والفخاخ المحيطة بطريق البتولية وتقدم الفضائل الملازمة لها مع بعض النصائح التى تجعل من المتبتلين فعلة بلا لوم أمناء عمالين ، إذ أن التبتل الحقيقى يفرض مسئوليات جدية فهو ليس مجرد حالة جسدية إنما هى زيجة روحانية...

وعندما نأتى إلى الرسالة الثانية نجد تحذيرات تتعلق بخلطة النساك والناسكات ، وبسلوك المجاهدين فى دروب البتولية وتنظيم مواضع سكناهم لتأمين دعوتهم بعيداً عن العثرة ، على مثال يوسف الصديق... وتروى الرسالة سير آباء من العهدين (سقوط شمشون

الجبار ـ سقوط داود ـ آمون وثامار ـ سليمان ابن داود ـ سوسنة والشيخان...) .

كذلك جاء ايضاً فى مؤلف من الأدب المسيحى منسوب إلى كلمنضس الرومانى يُسمى بـ «**عهد الرب**» وهو ضمن مجموعة الثمانية كتب المدعوة «الثمانى *Octateuque*» وجدت أولاً تحت عنوان «القوانين الرسولية*Les Constitutions Apostoliques*» ما يفيد أن البتول لا يُقام أو يُرسم ، بل هو نفسه يختار راضياً فيُعرف بهذا الاسم ، لا تُوضع اليد للبتولية ، لأن هذه الحالة هى إرادة شخصية إلى جوار أنها هبة وعطية ونعمة .

ثم نأتى بعد ذلك إلى **القديس أغناطيوس الأنطاكى** الذى تحدث عن البتولية كسر ، فقال: «بتولية مريم وابنها وكذا موت الرب ، أمسكوا برئيس هذا العالم . هذه الأسرار الثلاثة (أى سر بتولية العذراء ، وابنها ، وسر موت الرب) تمت فى السكون الإلهى...» .

وفيما هو يعتبر البتولية سر إلهى ، يرى ضرورة تلازمها بالإتضاع ، فعلى البتول أن يحفظ بتوليته إكراماً لجسد الرب ، لكنه لو تكبر أضاع نفسه .

وهنا يحث القديس أغناطيوس الذين يعيشون فى البتولية على ضرورة الشعور بعدم الإستحقاق ، لأن البتولية المُعطاة لهم هى نعمة سرائرية ليس لهم فضل فيها ، وبفهم صحيح يكون عندهم قدرة ليقدموا ذواتهم بالكلية للمسيح ، وإكراماً لجسده يقدمون أجسادهم وأرواحهم له وكل ما لديهم من طاقة وقدرة وجهد ووقت وتفرغ ذهنى وقلبى وروحى وليس فقط مجرد التفرغ الوقتى ، ليكون إكراماً لجسد الرب ، ويقول القديس: «إذا كان بإمكان أحد أن يبقى متبتلاً متشرفاً بجسد السيد فليبق كذلك متضعاً» .

ويجمع القديس أغناطيوس الأنطاكى فى رسائله بين ما جاء فى إنجيل يوحنا وما قاله القديس بولس عن الثبات فى المسيح والإتحاد بالمسيح والإقتداء بالمسيح ، فكتب إلى أهل أفسس (٨:٢) يذكرهم أن «منْ يهتم بالجسد لا يمكنه أن يعمل الأعمال الروحية ومنْ يهتم بالروح لا يمكنه أن يفعل أفعال الجسد» ويوصى بالثبات والإتحاد والإقتداء بالمسيح ، ونحت القديس أغناطيوس لهذه الغاية إصطلاحات «حاملى الإله» «حاملى المسيح» «حاملى الهيكل» .

هذا وفى رسائل المتوشح بالله أغناطيوس الأنطاكى يقدم دائماً تحية ومصافحة أبوية كأسقف لبيوت العذارى والمتبتلات والمدعوات أرامل ، مع نصائح رعوية لهن ليكن أقوياء بفضيلة الروح ويتشددن بالإيمان والمحبة جسدياً وروحياً .

أما **الشهيد بوليكاربوس** (*) أسقف سميرنا فيوجه نداءه إلى الأرامل اللاتى تكرسن للرب فى فيلبى لكى يكن «عاقلات فى الإيمان بالرب» ويعرفهن أنهن هيكل للرب ، فهو الذى يفحص كل شئ بدقة ولا يخفى عنه شئ من أفكارنا وعواطفنا وأسرار قلبنا .

ويقول **هرماس** الذى ذكره القديس بولس الرسول فى رسالته إلى أهل رومية (١٦ :١٤) وهو صاحب كتاب الراعى: إن البتولية ليست بين الأعمال التى يجب القيام بها ، ولكنها بين الأعمال التى تتم طواعية كالإستشهاد ، أى أنها ليست للجميع بل للذين أُعطى لهم ، فهى بين الأعمال التى يتم التبرع بها .

ويرى كاتب الراعى هرماس أن البتول هو العفيف البعيد عن كل شهوة رديئة والممتلئ بساطة وبراً ، لذلك يصف العذارى بالجمال ، ويوصيهن بالاستعداد والمهابة وكذا بالقدرة على الإحتمال والرجولة الروحية .

وتشير رؤيا هرماس إلى أن العذارى يساهمن فى بناء الكنيسة وفى حراستها ، ويسرعن لملاقاة رب الكنيسة والسير معه فى خدمته ، لهن أرواح مقدسة ، ويلبسن الوشاح مملوئات فضائل .

وعندما نأتى إلى الكتابات الدفاعية ، نجد أراء **القديس يوستين الشهيد** (+) عن البتولية: «لقد سرنا قبلاً فى النجاسات ، والآن نحب ونحفظ العفة فقط ، بينما استخدمنا فنون السحر فى الماضى ، نحن الآن مكرسون لله ضابط الكل ، فيما سبق أحببنا المال والقنية فوق كل ما عداها ، أما الآن فنترك الأشياء القليلة التى نمتلكها فى شركة ونوزعها على الأكثر احتياجاً....» .

---

*) انظر كتابنا «**القديس بوليكاربوس**» ـ سلسلة آباء الكنيسة ـ **اخثوس** IXΘYΣ.

+) انظر كتابنا «**القديس يوستين والآباء المدافعون**» ـ سلسلة آباء الكنيسة ـ **اخثوس** IXΘYΣ.

وعن العفة يقول: «كل منْ نظر إلى إمرأة ليشتهيها ، فقد زنى بها فى قلبه (مت٥: ٢٨) كذلك ذاك الذى يشتهى أن يزنى ، لأنه ليس فقط أفعالنا بل وأفكارنا ايضاً معروفة لله... وهناك الكثير من الرجال والنساء لهم من العمر ٦٠ أو ٧٠ عاماً ، وهم تلاميذ المسيح منذ شبابهم ، وحفظوا بتوليتهم ، وأنا أعلن أننى استطيع أن أريكم مثل هؤلاء فى كل أرض وكل شعب» .

ويرى المدافع **أثيناغوراس الأثينى** أن التبتل أجمل ثمار المسيحية ومن أعظم فضائلها وأحلاها لأن المتبتل يجد نفسه أكثر إتحاداً بالعريس السمائى ، وأقرب إلى الإتصال والتحدث إليه .

وكتب أثيناغوراس فى إلتماسه من أجل المسيحيين والذى وجهه إلى الامبراطور مرقس أوريليوس مفنداً الإتهامات التى وجهها الوثنيون إلى المسيحيين ، والتى كان من بينها الإتهام بالمعاشرات الأوديبية ، فكان رده على هذا الإتهام: «المسيحيون يزدرون بالحياة الحاضرة والبعض منهم يحيا فى حياة طهارة كاملة متبتلاً لله ، والبعض الآخر تزوج لكن بقصد الإنجاب فقط... فليس عند المسيحيين أى إختلاط أوديبى ، لأنهم يؤمنون أن الله رقيب على أفكارهم وحركات قلوبهم وأنهم سيدانون على كل فكر شرير ، ويمنعون أنفسهم حتى من النظرة الشريرة ، فكم بالأحرى جداً يعفون عن أعمال النجاسة؟» .

ويعتبر أثيناغوراس أن البتولية حالة أكثر إتحاداً مع الله وأكثر كمالاً لكنها إختيارية ، وركز فى دفاعه على الاحترام المتبادل بين المسيحيين وبعضهم البعض ونظرتهم المقدسة للزواج وحبهم لحياة البتولية .

هذا ويُعد **ميليتو المدافع** أسقف ساردس البتول من كواكب كنيسة آسيا وأكثر شخصيات القرن الثانى وقاراً وهيبة ، والمحسوب من أجل بتوليته أحد الأنوار العظيمة بحسب وصف بوليكراتس أسقف أفسس: «ميليتو البتول الذى يعيش كلية فى الروح القدس ورقد فى ساردس منتظراً الدعوة من السماء عندما سيقوم من الأموات» .

وقد حث نواتيانوس المدافع الرومانى فى رسالته عن الإتضاع *De Bono Pudicitoe*، على الإستمساك بالإنجيل والعفة... وجعل هذا العلامة الرومانى العفة درجات أولها التبتل والثانية الإعتدال ، والثالثة الأمانة التامة لسر الزيجة وعهد الزواج ، ومع أن الزواج

تزامن مع خلق الإنسان وتبارك من ربنا يسوع الذى بارك عرس قانا الجليل ، وايضاً برسله القديسين ، لكن التبتل والعفة الكاملة يفوقان الناموس... وهو مساو لصفات الملائكة ، بل وجهاد البتولية والإنتصار على الطبيعة البشرية لا وجود له عند الملائكة ، وهذه النصرة هى التى تجعل من البتولية أعظم اللذات .

وعندما نأتى إلى المدافع الأفريقى **العلامة ترتليان** نجده قد كتب ما لا يقل عن ثلاثة كتب عن الزواج وتكرار الزيجة فينصح الأرامل أن يبقين هكذا وألا يتزوجن ثانية ، إذ لا يوجد أى سبب حسن للزيجة الثانية ، فإذا أراد الله لأرملة أن تفقد زوجها بنياحته ، يجب ألا تحاول هى بزواجها ثانية أن تستعيد ما أخذه الله ، وهذا الإتحاد ما هو إلا عائق فى طريق القداسة!! ولكن هذه الرؤية لا تقرها الكنيسة فقدكان ترتليان متطرفاً فى رؤيته للزواج نتيجة سقوطه فى البدعة المونتانية (*) .

ويعالج العلامة ترتليان موضوع الزيجة الواحدة كما تكلم عن خمار العذارى الذى رأى ضرورته للمتزوجة وغير المتزوجة دون أن يستثنى أحد من هذه القاعدة ، إذ أن الكتاب المقدس والطبيعة والسلوكيات الحسنة جميعها تحث العذارى على تغطية رأسها ، وإذا كانت تفعل هكذا داخل الكنيسة فلما لا تفعله خارجها؟

(*) انظر كتابنا «**العلامة ترتليان الأفريقى**» ضمن سلسلة آباء الكنيسة ـ اخثوس IXΘY حيث ستجد فيه تحليلاً وافياً عن مراحل تحول ترتليان من الأرثوذكسية إلى البدعة المونتانية وإنعكاسات ذلك على فكره عن الزواج .

الفصل الثانى

البتولية عند آباء الاسكندرية

كانت مدرسة الإسكندرية اللاهوتية عقل المسيحية يأتى إليها الغرب طلباً لإستنارة أعظم باعتبارها أقدم مركز للعلوم القدسية فى تاريخ المسيحية ، حيث تمارس العبادة جنباً إلى جنب مع الدراسة ، ويحيا فيها المعلمون وتلاميذهم حياة نسكية... فقد عرف غالبية أساتذة هذه المدرسة اللاهوتية الشهيرة بحبهم لحياة البتولية والزهد فى العالم .

واعتبر الآباء السكندريون أن البتولية شركة عميقة مع الله وأنها ليست غاية فى ذاتها إنما هى طريق للدخول العميق فى المعية الإلهية ، وأن الإتحاد مع الرب بداية شوطها ونهايتها ، ولهذا سلك فيها كثيرون كطريق ضيق لكن ليس مستحيل .

ومن بين أشهر رؤساء مدرسة الاسكندرية نجد **القديس كلمنضس السكندرى** أحد أعمدة التقليد السكندرى والذى أكد المؤرخون على بتوليته ، فقال عنه جونز كواستن *Quasten* المؤرخ الأبائى الشهير: «سلك بالبتولية إذ لم يتزوج حباً فى الرب» ، وكان كلمنضس مراراً كثيرة يمدح البتولية والذين وهبهم الله إياها ، مقتنعاً بأن من يبقى بمفرده لكى لا يحرم من خدمة الرب يربح مجداً سمائياً ، وحين قارن القديس بين المتزوج والأعزب ، رأى أن المتزوج أسمى من الأعزب ، لكنه ميز بين الأعزب والبتول .

وكتب القديس كلمنضس ايضاً عن قدسية الزواج ورفع من شأنه كعمل شركة مع الخالق ، إلا أنه يؤكد على مفهوم أن الكل ليس ملتزم بالزواج ولا الكل ملتزم بالبتولية ، معتبراً أن الإيمان هو بدء الحياة المسيحية وسر قوة الله العاملة فينا وسند الحياة الأبدية ، هذا ويلخص القديس كلمنضس رؤيته للبتوليين باعتبارهم مختارين أكثر من المختارين .

أما **العلامة أوريجانوس** أحد أشهر معلمى الاسكندرية فكان تعليمه عميقاً عظيماً ومُعاشاً ، إذ بينما كان يشتاق أن ينال إكليل الإستشهاد مع والده الشهيد ، أرسل إليه يحذره «احذر أن تغير قلبك بسببنا» ، وبعدئذ وجد أوريجانوس أن حياة البتولية هى ظل للاستشهاد ، لذلك قدم حياته مثلاً للحياة الإنجيلية مكرساً إياها بالكامل .

ورأى العلامـة أوريجانوس أن الإنسان البتول يطلب الإتحـاد مع الله خـلال التمسك بحفظ البتولية ، ولذلك كان قائداً لتلاميذه وسامعيه فى ذات الطريق ، واقترنت كتاباته بزيادة الحب الإلهى أكثر فأكثر والسعى نحو الكمال والنقاوة والحواس النورانية .

وقد تضمنت تفاسير العلامة أوريجانوس لأسفار الكتاب المقدس إشراقات كثيرة حول مفهوم البتولية ، فاعتبر أن كنيسة الأبكار هى أعلى مرتبة فى الملكوت السمائى وأنها أرقى هذه الدرجات التى سيرتقيها البتوليون باعتبارهم أعضاء فى كنيسة الأبكار ينعمون بشركة تبعية المسيح البكر .

وفى كتابه عن «المبادئ» تكلم عن البتولية كذبيحة ، فقال: «إن أردت تفسيراً أخلاقياً وسلوكياً لما ورد فى (لا١ :١) فلديك أنت ايضاً عجل ، عليك أن تقدمه ، وهذا العجل هو حقاً تقدمة ثمينة ، إنه جسدك ، فإذا أردت أن تقدمه هبة للرب ، وأن تحفظه طاهراً بتولاً.. يجب أن تبتعد عن الشهوة وتهرب من الزلل ، وضع يدك على ذبيحتك لكى تقبل من الرب ، إذبحها أمام الرب ، أى ضع عليها لجام العفة البتولى ، ولا تنزع عنها نير التأديب (١كو٩ :٢٧) وإذبحها أمام الرب ، امت بلا تردد أعضاءك.. فالكلمة الإلهية تريد إذن منك أن تتقدم لله بعاطفة مقبولة ، وتقدم له جسداً عفيفاً ، حسب قول الرسول (رو١٢ :١) ، فهناك قوم يقدمون بلا شك أجسادهم محرقة ، أعضاء بالجسد لكن نفوسهم ليست عفيفة ، فربما قد تدنسوا بشهوة المجد البشرى أو تنجسوا بمغريات البخل أو تلطخوا بشر الغيرة والحسد» .

ويعتبر أوريجانوس أن الذبيحة الأولى فى الكنيسة بعد ذبيحة الرسل هى ذبيحة الشهداء والثانية هى ذبيحة البتوليين... لكنه ينبه أن أجساد البتوليين والعباد إذا تنجست بدنس الكبرياء ونجاسة الكذب ، لا تعود بعد ذبيحة مقدسة مرضية أمام الله ، طالما أنها بتولية فى الجسد فقط ، لأنه فى الناموس عندما كانت تُقدم الذبيحة كان الكاهن يفحص باهتمام ليس فقط لكى تكون الذبيحة المختارة من بين الحيوانات الطاهرة بل وايضاً أن تكون بلا عيب فى عينيها وأذنيها فلا يقرب إلى المذبح المقدس حيواناً أعرج أو أعور أو أصم .

ثم نأتى إلى **البابا أثناسيوس الرسولى** أشهر آباء الاسكندرية ، لنجده بتولاً ناسكاً يقضى أوقاته فى قلالى الرهبان التى صارت كهياكل مقدسة فى الجبال مليئة بجماعة الأتقياء ، يرنمون ويشغفون بالقراءة ويصومون ويصلون فرحين برجاء الحياة العتيدة .

والبتولية فى نظر القديس أثناسيوس فى مستوى الشهادة والاعتراف ، الأمر الذى أكده عندما كتب فى سيرة الأنبا أنطونيوس: «وعندما توقف الإضطهاد اخيراً وأكمل المغبوط بطرس خاتم الشهداء عام ٣١١م، إنصرف أنطونيوس واعتزل ثانية فى صومعته وبقى هناك كل يوم شهيداً أمام ضميره مناضلاً فى جهاد الإيمان وصار نسكه أشد صرامة» .

ونجد أن الإتجاه النسكى وحياة البتولية صارا خطاً أساسياً فى كتابات البابا السكندرى العشرين ، حتى أنه فى كتاب «تجسد الكلمة» يقول: «إن حججنا هذه التى نقدمها لا تنبع من كلمات وحسب ، لكن لها شاهد حقيقى لصدقها وذلك بالممارسة والاختبار والذى يريد أن يتحقق من ذلك فليذهب ليرى برهان الحق فى حياة عذارى المسيح المتبتلات وفى حياة هؤلاء الشباب الذين يمارسون حياة العفة المقدسة (البتولية)» .

وخير دليل على تشجيع هذا الراعى العظيم لحياة البتولية ، هو النشاط المتزايد جداً فى الخروج من العالم فى زمان بابويته ، فكم من عذارى نذرن أنفسهن للمسيح وكم من شباب خرجوا للحياة الرهبانية ، وكم من آباء اقنعوا أولادهم وكم من أولاد أقنعوا أباءهم لمزيد من النسك المسيحى والتشجيع على البتولية .

كذلك رأى البابا أثناسيوس أن طقس البتولية وخاصة للعذارى هو طقس ملائكى ، كرامته فى الكنيسة تفوق الوصف وله عمله السرى لدرجة أنه كان يقول أن المدينة إذا كان يوجد فيها عذراء نقية متبتلة للمسيح ، فإن الله يحفظ هذه المدينة بلا سوء بسبب هذه العذراء (قوانين أثناسيوس) .

ولعل مقالاته وكتاباته عن النسك والبتولية وهو ناسك ورئيس نساك قد شجعت كثيرين على عشق البتولية ودفعت بأولاده لينخرطوا فى الحياة الرهبانية والسيرة البتولية متأثرين بعظاته وتعاليمه ، يؤسسهم على الإيمان بالله والقداسة فى المسيح .

فصارت هذه الطغمة تُعد بعشرات الآلاف ، لذا أحس القديس أثناسيوس أنه يمت إلى هذه الطغمة بصلة وثيقة فوضع نفسه على رأسها يهتم بها ويرعاها ، وصارت الحياة

البتولية والعذراوية تزداد إنتشاراً ، حتى أن الكنيسة سمحت بأن تقيم العذارى فى بيوت عائلاتهن فى أماكن مخصصة داخل البيت ، أو يعشن فى بيون خاصة لهن... حيث يشرف عليها الأسقف بنفسه ، وكان البطريرك يكتب لهن توجيهات خاصة .

ويخبرنا القديس چيروم المؤرخ الكنسى بأن القديس أثناسيوس الكبير عالج موضوع البتولية مراراً كثيرة ، ووصلنا الكثير من عظاته ومؤلفاته عن البتولية ، بعضها ثبت بصفة مؤكدة إنها بقلمه أو من أقواله ، والبعض الآخر لا يزال العلماء يدرسونه .

وكذلك اُكتشفت شذرات كثيرة من كتاباته باللغات القبطية والسريانية عن حياة البتولية .

وفى كتابات القديس أثناسيوس السكندرى الموثوق بها نقرأ الكثير عن قوانين العذارى وصلوات لهن تُقال فى مناسبات كثيرة وفى الأغابى التى تصنعها العذارى ، وعما يجب أن يكون عليه سلوكهن وسيرتهن .

ومن الإصطلاحات المأخوذة عنه اعتبار الرهبنة «طقس ملائكى» وأن «العذارى هن عرائس المسيح» وأنهن «ختمن عقداً مع المسيح إلى الأبد» ويعتبر البابا أثناسيوس أن البتولية «موهبة إلهية» ويسميها «غنى الكنيسة» فهى «عطية البذل المحفوظة لله» ويرى أن «العذراء تعيش حياة غير مائتة فى جسد مائت» .

وبحسب نظريته اللاهوتية العميقة نجده يصف البتولية بأنها علامة الديانة الصحيحة لأن الديانة الحقيقية هى التى تحبب البتولية إلى الناس خلافاً لغيرها فكان الهراطقة يكرهون البتولية ويقبحونها .

ومن المفاهيم الروحية الأصيلة لمدرسة الاسكندرية اللاهوتية رؤيتها فى السيدة العذراء الدائمة البتولية نموذجاً ومثالاً لحياة البتولية ، فتحدث عنها البابا أثناسيوس باعتبارها «إيبارثينوس أى عذراء» فى مخطوطة عن البتولية ليظهر ببساطة أنها أصل الحياة النسكية والنموذج الحى لها .

ويرى القديس أثناسيوس فى إحدى شروحاته أن ابن الله ربنا ومخلصنا هزم الموت وحرر الجنس البشرى من العبودية ومنحنا من بين هباته العديدة نعمة إمتلاك صورة

قداسة الملائكة على الأرض وهى البتولية ، لذلك تُلقب الكنيسة المقدسة العذارى اللواتى يملكن هذه الفضيلة بلقب عرائس المسيح .

كتب القديس أثناسيوس رسائل إلى رهبان ومتوحدين ، من بينها الرسالة إلى الأب آمون والتى جاء فيها قوله الشهير: «هناك طريقان للحياة: الأول هو الزواج ، وهو المعتاد والأكثر إعتدالاً ، والآخر هو البتولية ، وهو طريق ملائكى والأكثر كمالاً ، إن اختار إنسان طريق حياة العالم أى الزواج فإنه يكون حقاً بلا لوم ، ولكنه لم ينل ما يمكن أن يناله من المواهب التى فى الطريق الآخر ، وإن هو أثمر ايضاً ، فإنه ينال ثلاثين ضعفاً (مر٤ :٢٠) أما من يسلك الطريق الآخر ، فإن هذا الطريق المقدس والسمائى لا زال له المواهب الأسمى ، حتى وإن كانت شاقة ومضنية لاقتبالها ، مقارنة بالطريق الآخر ، إذ تعطى الثمر الأكثر كمالاً: مئة ضعف» .

وفى موكب آباء الاسكندرية نتوقف عند **القديس إيسيذروس الفرمى** أو البيلوزمى (*) الذى قام بعمل مقارنة بين الزواج والبتولية ، مؤكداً على أنه مثلما السماء أفضل من الأرض ، والنفس أفضل من الجسد ، كذلك البتولية أفضل من الزواج ، معتبراً أن الزواج حسن لكن البتولية أحسن .

ويرى القديس إيسيذروس فى حياة البتولية مثال الكمال المسيحى وتتميم جميع وصايا الله ، وكان يعتبر يوحنا المعمدان نموذجاً ومثالاً للحياة الرهبانية وللسلوك البتولى .

وهكذا تروى صفحات التاريخ السكندرى الكنسى سير وحياة نماذج كثيرة لقديسين اختاروا طريق البتولية حتى بالرغم من زواجهم ، ذلك لأنهم قد أُجبروا هم وزوجاتهم على الزواج رغم إرادتهم مع أنهم قد اختاروا هم ونساؤهم حياة البتولية... وهكذا تصلى كنيستنا القبطية فى القداس الكيرلسى «وهبتنى أن أشرب كأس دمك طاهراً اعطنى أن امتزج بطهارتك سراً» .

✝ ✝ ✝

---

*) انظر كتابنا «القديس إيسيذروس الفرمى» ـ سلسلة آباء الكنيسة ـ اخثوس IXΘYΣ .

الفصل الثالث

البتولية عند الأقمار الثلاثة

عندما نأتى إلى الأقمار الثلاثة نلتقى **بالقديس باسيليوس الكبير** الذى سن قوانين نسكية ووضع نظم رهبانية ونهجاً فلسفياً متدرجاً ، يرى فيه أن اللذة الجسدية مليئة بالتعب وأن الزواج يتعرض لشر العقم والترمل والزنى... ويصف دعوة البتولية بأنها دعوة سيدية ولكنها ليست سهلة فقد يخور فيها الإنسان فى رحلته فيرتد إلى الوراء... فالله بسط للبشر طريق الزواج وطريق البتولية ، ومن يرغب فى العيشة الملائكية ويرى أن يكون رفيق القديسين وواحداً من تلاميذ المخلص ، عليه أن يدخل بشجاعة وفرح بلا خوف ، ويبدل الخيرات المادية بالخيرات التى لا تزول فينال عوض كل شئ .

ثم يشترط القديس فى من يطلب الحياة الرهبانية الحماس لأنه لا يختار هذه الحياة الصعبة من لم يملأ قلبه الإنجذاب إلى المسيح ومن لم يؤخذ بعشقه ، ويعتبر القديس باسيليوس أن هذه الطريقة بمثابة وضع اليد على المحراث ، والسير فى دروب الرب والإلتهاب به والإستشهاد اليومى .

ويرى بطريرك الكبادوك أن غاية البتولية هى إصلاح الطبيعة التى فسدت وإرجاعها إلى حالتها الأولى ، وأن حياة البتولية هى رجوع إلى الجمال القديم البهى والمثال الأول الذى يشبه صورة الله بالتمام ، وأن أساس هذه الحياة هو السماع لنداء المحبة الإلهية وإلا فسدت وضاع معناها الحقيقى .

وفى تناغم فكرى مع بقية عموم الآباء يجد كلام القديس باسيليوس التوجيهى والتفسيرى معناه الكامل فى رؤيته للزواج على اعتبار أنه من أقدس ما فى حياة الإنسان ، يحمل فى طياته معانى العطاء ، لكنه يميل إجمالاً إلى حياة البتولية والتكريس الكامل كإختيار مبدئى حر ، إذ أن وجه هذا العالم فى تغير والزمان قصير والذين لهم نساء يكونون كأن لا نساء لهم ، ومن يريد أن يتبع الله حقاً ينبغى أن يترك كل إرتباط بهذه الحياة... وإذا كان الزواج مباحاً إلا أنه من الصعب الجمع بين الإهتمام فيما للرب

والإهتمام فيما للزواج (١كو٧:٣٢) .

والقديس باسيليوس أسقف قيصرية ـ مهما يكن من أمر ـ لا يزدرى بالزواج ، إنما هو يدعو إلى سلوك طريق أكمل يرضى الله ، واتباع طريق الكمال بالتخلى عن أفراح الزواج لخدمة الله وحده ، ومع ذلك يقر بالزواج كدعوة إنسانية ذات وجود أساسى .

وعلى أية حال فإنه يعتبر أن الرهبان والمتبتلين هم النفوس العطشى إلى اتباع خطى المسيح ، وأن حياتهم هى الأضمن والأكثر كمالاً للإقتداء بالسيد المسيح ، وهى تجسيد واقعى للنمط الحياتى الذى عاشه المسيح على هذه الأرض .

وفى عظة القديس اغريغوريوس النزينزى عن الجليل فى القديسين باسيليوس الكبير نجده يتحدث عن بتوليته فيقول فى تأبينه: «عظيمة هى البتولية والإنتظام مع الملائكة ذوى الطبيعة البسيطة وأخشى أن أقول والانتظام مع المسيح ، الذى لما شاء أن يولد لأجلنا وُلد من بتول فاشترع البتولية لكى تنقلنا من ههنا وتفصلنا عن العالم أو بالأحرى تجعلنا ندوس العالم لأجل العالم الآخر ، الحاضر لأجل الآتى ، فمنْ أكرم البتولية أكثر من باسيليوس ومن سنّ القوانين لضبط الجسد أكثر منه؟ فهو الذى أنشأ ملاجئ العذارى ووضع القوانين التى تحث على البتولية الصادقة... وجعل الجمال داخلى من الأمور المنظورة إلى الأمور الغير منظورة وكشف قلبه لله الذى هو وحده عريس النفوس الطاهرة والذى يدخل معه النفوس الساهرة إذا ما أتت لملاقاته بمصابيح مضيئة ومؤنة وافرة من الزيت» .

وعندما نأتى إلى **القديس اغريغوريوس النزينزى** الذى يروى عنه التاريخ على لسانه أنه منذ أن أخذ يحس بالتمييز بين الخير والشر هام بحب التبتل ، فعندما كان فى السابعة من عمره ، رأى فى حلم أن هناك سيدتين جائتا إلى جوار فراشه ، وهما ترتديان ثياباً بيض وعلى وجهيهما حجاباً لم يخفى جمال أعينهما ، واخبراه أن اسميهما هما «النقاوة والعفة» ، وأنهما رفيقتا يسوع ، وأمرتاه أن يصحبهما ويشترك معهما ثم اختفتا ، وكان لهذا الحلم عميق الأثر فى شخصية اغريغوريوس .

لذلك أحب القديس اغريغوريوس الإنشغال كلية بالله فلا شئ عنده يساوى حال إنسان أقفل أبواب حواسه عن المثيرات الخارجية ، مشيراً إلى جمال الطهارة البتولية

مستنداً إلى تعليم بولس الرسول الذى بيّن فضل الزواج والبتولية ، وإلى ولادة الرب يسوع من عذراء لكى يشرف الولادة ويجعل البتولية فوقها قدراً .

أما **القديس يوحنا فم الذهب** بطريرك القسطنطينية فقد أحب الحياة الملائكية وعشق البتولية... وكشف لنا نعمة الله الغنية العاملة فى السلوك البتولى مدعماً بحياته الذهبية فمه الذهبى ، فهو لم يختار حياة البتولية تفضيلاً لحياة على الأخرى ، بل أراد أن يضبط شهواته وينال من السيد المسيح إكليلاً ويعيش بالفرح والسلام مكملاً حياته بالنعمة والتعزية .

وفى مقالته «مقارنة بين الملك والراهب» يسجل أحاسيسه النسكية الصادقة متحدثاً عن السمائيات وطغمات القديسين وربوات جماعات البتوليين الذين هدموا طغيان الشيطان ليبشروا بملكوت المسيح وبهاء مجده .

وعندما اعتبر بعض المسيحيين أن البتولية ضرب من الجنون ، وقامت حملات عنيفة ضد النسك الرهبانى ، كتب ذهبى الفم كتباً ثلاثة يدافع فيها عن جمال البتولية ، مقدماً الردود التى تبرز بهاء البتولية .

ويعتبر القديس يوحنا ذهبى الفم أن البتوليين يشكلون معسكر المسيح وجماعة القوات العلوية باعتبارهم القطيع الملوكى ، الذين يقتاتون بأقوال الله ويحومون كالنحل حول الكتاب المقدس ، ويتغذون بطعام كلى السمو.

ومن بين المقالات التى كتبها ذهبى الفم أفرد مقالاً للحديث عن البتولية جاء فى جزئين:

الجزء الأول: يهاجم فيه الهراطقة الذين يحتقرون الزواج .

والجزء الثانى: يقدم فيه الرؤية المسيحية للبتولية ، وكيف أن غير «القادرين على الخوض فى معارك البتولية من أجل الملكوت» لا يكرسونها ، موضحاً أن الزواج صالح لكن البتولية أفضل .

شجع القديس ذهبى الفم بيوت العذارى والمتبتلات اللائى تحولن فى رجاء صالح إلى طيور روحية منطلقات نحو المسيح ، وحثهن على تركيز حبهن فى أعمال الرب ، لأن السيد نفسه يفضل العطاء فوق البتولية ويقبل الذين غلبهم العطاء بمجد عظيم ،

ويدعوهم «مباركى أبى»... لذلك يرى أن الصدقة أكثر أهمية من البتولية .

وكتب القديس رسائل إلى عذارى ورهبان ينصحهم أن يبقوا كما هم فى عذراويتهم على اعتبار أن دعوات أولاد الله متنوعة وهم يعيشون مواقف تتناسب مع دعواتهم وقامتهم وإستجابتهم لعمل نعمة الله معهم ، فيؤكد ذهبى الفم على أنه كما لا يسمح قط للبتول المكرسة أن تتزوج ، لأن عريسها حى دائماً ولا يموت ، كذلك لا يسمح للمتزوجة أن تتكرس إلا بعد موت زوجها .

ويتفق القديس يوحنا فم الذهب مع عموم الآباء فى أن البتولية هى حياة فهم الإنجيل وأنها نعمة وموهبة خاصة من الله كعطاء متبادل للشخص كله بما فيه الجسد ، فيقول: «كان هناك سببان لتأسيس الزواج... الحياة بعفة وولادة البنين» وهو بهذا لم ينقص من قيمة الزواج كسر ، ويذكر ايضاً فى إحدى عظاته أنه يوجد فى أنطاكية ٣٠٠٠ عذراء يخدمن الكنيسة ، مما يدلل على إنتشار البتولية فى تمام مضمونها الجسدى والروحى .

وفى تفسير ذهبى الفم للآية «وأما العذارى ليس عندى أمر من الرب فيهن ولكنى أعطى رأياً كمن رحمه الرب أن يكون أميناً» (١كو٧:٢٥) يعتبر أن ما جاء بها نصيحة من القديس بولس الرسول وليس وصية من الرب ، حتى إذا خالف أحد هذه الوصية لا يكون متعدياً على وصية الرب... ومن نفذها يكون قد عمل عملاً حسناً ، فهو يقدم نصيحة دون أن تكون وصية ، ممتدحاً البتولية ، ومن يقبل نصيحته ينتفع بها ومن لا يقبلها لا يكون قد تعدى وصية إلهية .

ويعتبر القديس يوحنا أن البتولية فى ذاتها ليست خيراً أو شراً ، لكن يجب أن تتحول إلى طاقات حب لله وخدمته والشهادة له .

ويؤرخ ذهبى الفم لتاريخ البتولية فى كتاباته باعتبار أنه لم يكن هناك موضع للبتولية فى العهد القديم ولا فى شرائعه ولا فى المثاليات التى عاش بها رجاله وقديسوه ، لكن الله لم يعدم الوسيلة التى يمهد بها للبتولية لتأخذ وضعاً متميزاً قبيل ظهور السيد المسيح مباشرة .

ونستطيع القول أن كلمة «البتولية *Παρθενια*» غريبة على المجتمع البشرى ، لم

تظهر إلا فى زاوياه الخلفية بعيداً عن الأنظار ولم تنل تكريماً أو اعتباراً عند الناس والمجتمعات سواء فى الفكر اليونانى أو بين اليهود ، ويقول ذهبى الفم: «البتولية لم تكن معروفة فى الشريعة القديمة أى الناموس ، ولم ينطق أحد من القدماء بهذا الاسم على فمه» ويكرر هذا المعنى فى تفسيره لإنجيل متى (عظة ١ :٥ ، ٧٨ :١) .

لذلك يرى فم الذهب أن كلمة البتولية دخلت فى قاموس الجنس البشرى بميلاد المسيح من عذراء ، وأكد رب المجد قيمتها العالية حينما نطق بهذا القول: «يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات» (مت١٩ :١٢) وجاء بولس الرسول يعيشها ويوصى بها للمؤمنين (١كو ٧ :٢٥ـ٤٠ ، ٩ :٥-١٥)

ويقول ذهبى الفم «ما إن ظهر الله للعالم مولوداً من عذراء حتى بدأ الإنسان يعرف ممارسة هذه الفضيلة» .

ويُعرّف البتول أنه ـ رجل كان أم عذراء ـ استبدل الحنين للجسد الآخر بالإلتصاق بالرب فى عشق إلهى (١كو٦ :١٧) والبتول اتسع حضنه ليحوى الخليقة كلها عوض الإنحصار فى أسرة واحدة وبنين لا يزيد عددهم عن أصابع اليد ، فالبتولية من أجل الله شئ ليس من هذا العالم بل غنى للعالم ووفرة مضافة لحساب البشرية .

وامتدح البوق الذهبى بعقله السمائى الحياة الرهبانية باعتبار أن البتولية أحد نذورها فكتب عنها شارحاً أن الله يجد فيها جيشه المهيأ للحرب وكتيبته المحفوظة للأعمال المقدسة ، موكبه الشرفى ، وطغمته المشيدة له بالمدائح ، وأهل بيته الجاثين عند قدميه ، وجنوده البواسل .

أكد القديس على أن النفوس المدعوة للبتولية إنما هى مدعوة إلى كمال أعظم وإلى حياة سمائية وإلى ترك الأرض لأجل السماء والوقت لأجل إكرام الأبدية ، معتبراً أن حياة البتولية شهادة إنجيلية وكمال إنجيلى وحياة جميلة شريفة ، أما عن موت المتبتلين والرهبان ، فيقول أن موتهم هو انتصارهم وهو الساعة التى يعظم فيها فرحهم ، إنه وقت سفرهم وظهور عظمتهم .

وعن تأثير الرهبان والمتبتلين يقول: «لما أسس الله بالمشورات الإنجيلية هذه الحياة كان فى عزمه أن يجعلها كتيبة شرفه ومجد كنيسته وإكليل المسيحية ، بيد أنه لم ينسانا نحن

ايضاً بل أعطانا هذه الطغمات إنارة وسنداً ومثالاً» .

وفى عظته التى يمدح فيها الشهيدة الأولى تكلة أبرز مفاهيم روحية ثمينة عن بتولية هذه القديسة معتبراً أن بتوليتها صارت لها استشهاداً دائماً بمكافحتها للذة الجسد كما فى مكافحة الوحوش الضارية ، وفى ثباتها أمام حرب الأفكار كما أمام العذابات ، وفى انتصارها الباطنى أمام ضُرورات الطبيعة كما أمام النيران .

وامتدح فم الذهب الشهيدة تكلة التى قهرت طبيعتها وحافظت على طهارة بتوليتها وإرتباطها بالعريس السمائى وحيازتها إكليل البتولية ، وفى معرض هذا الحديث يقول القديس يوحنا: «إنى لا أطعن فى طبيعة الزواج لكن هناك اهتمام بالشئون الجسدية وعناية بالشئون السمائية ، هناك الشئ الحسن وهناك ما هو أحس منه» ويعتبر أن تكلة الشهيدة البتول قد سبقت فتذوقت الخيرات المستقبلية مقدماً وشاركت فى قداسة القيامة الأخيرة كما قال الرب «إنهم فى القيامة الأخيرة لا يزوجون ولا يتزوجون» (مت٢٢: ٣٠) .. فيالى سعادة العروس المرتبطة دوماً بالبتولية ، تلك التى ليس لها سرير عرسى إلا البتولية .

واخيراً فى تعليمه عن المريمات علم بوضوح عن دوام بتولية القديسة مريم واعتبرها نموذجاً ومثالاً للمتبتلين ، إذ يقول: «نحن نجهل الكثير: كيف يوجد غير المحدود فى رحم ، كيف يُحمل ذاك الذى يحمل كل شئ وتلده إمرأة ، كيف تلد البتول وتبقى بتولاً؟!» .

الفصل الرابع

البتولية عند الآباء السريان

رأى **القديس مارافرآم السريانى** قيثارة الروح أن مسكن البتولية هو الفردوس مع الله والملائكة ، فالبتولية إستباق للحالة الفردوسية ، ومشابهة لله لا تظهر فقط فى الكلام والعقل بل فى الإرادة الحرة ، هذه الحرية التى غُرست فردوساً روحياً يفوق لمعاناً الجنة السمائية التى صنعها الخالق .

وامتدح مارافرآم السريانى موهبة وعطية البتولية بل كان مذهولاً بها ، معتبراً أنها تدخلنا الفردوس أكثر من الأسهار والأصوام ، وأن صورة المسيح موضوعة فى قلب البتوليين والبتولات ، فالمسيح حاضر فيهم ، ويرى أن يوحنا الإنجيلى هو عنوان طهارة فاقت بتولية الملائكة .

ويتحدث مارافرآم السريانى عن البتولية فى الميمر السابع (*) فيقول:

(إن بولس الرسول يعلمنا جميعاً عن بتولية النفس وطهارتها ويحسب رتبة البتولية أفضل وأغلى من رتبة الحياة فى العالم ، لأنه قال: «ان غير المتزوج يهتم فيما للرب وأما المتزوج فيهتم للعالم كيف يرضى امرأته» (١كو٧:٣٢ـ٣٣) فذلك الاهتمام يؤدى إلى العذاب وأما هذا فيؤدى إلى الحياة الخالدة .

فالطوبى لمن يهتم بأن يرى الله ويصون جسده طاهراً ليصير هيكلاً مقدساً وطاهراً للمسيح الملك... أيها الإنسان إنك باختيارك قد صرت هيكلاً لله لا عن إلزام أو إكراه بل عن رغبة ونشاط ، وإذ صرت إنساناً للإله العلى عرفت بتدقيق أن روح الله يسكن فى الهيكل (١كو٦:١٩ـ٢٠)فإن كان طاهراً نقياً يقدسه (روح الله) لكى يكون إستعماله مرضياً لسيده ، اسمع ما أقوله لك واطبعه فى ذهنك: تمنطق وتدرع بالإيمان النقى الخالص والرجاء والمحبة ، وقف كالرجل الشهم حافظاً هيكل الله من جميع الأفكار

(*) نقلاً عن كتاب «القديس مارافرآم السريانى» (بتصرف) ـ إعداد اسبيرو جبور والأب افرآم كرياكوس ـ مطرانية الروم الأرثوذكس باللاذقية ـ ١٩٩٤م ـ صـ١٤٥:١٤٩ .

النجسة التى زرعها العدو ، ابذل كل جهدك مراقباً على الدوام تجارب العدو لأنها تتوالى باستمرار لتجد إنساناً مسترخياً لكى تفسد جسده فلا يرغب فيما بعد أن يستمع لسيده ، فاحذر أن تدخل تجارب العدو عندك ، أتجهل من هم المحاربون الخبثاء ومروجو الأفكار الدنسة والشهوات الرديئة ، والغضب والاضطرابات والسخط والعبودية للأهواء؟ إنهم المجربون الأشرار الذين لا يكفون عن الشر ولا يشبعون منه ، وإذا غلبوا يعيدون الكرة دائماً لأن أصل الشهوة واقع ، فاقتلع جذور الشهوة لئلا تتجذر وتثبت ، فإذا اجتززتها ربوات من المرات تثبت بالقدر عينه مضاعفاً إن لم تقلع الجذور تماماً ، جاهد حسناً لتكون هيكلاً لله لا دنس ولا عيب فيه ، إن هيأت هيكلك لله فالإله القدوس يعطيك لراحتك عوضاً عنه فى فردوس النعيم ، احتفظ بانتصارك على العدو أى الأفكار والأهواء الدنسة حافظاً الهيكل المقدس ليكون بهياً لله ومقبولاً قبولاً حسناً ، انتبه لذاتك لئلا تدخل وتقتبل فى الهيكل ، عوضاً عن السيد القدوس الطاهر ، العدو النجس فيفسد هيكلك بوقاحته ، فإنه وقح لا يخجل ، تنتهره مراراً كثيرة وتطرده خارجاً ، أما هو فيضارب بوقاحة ويزاحم ليدخل ، وأما الله فإنه غير سقيم بل طاهر وقدوس لا يبتعد عنك إنما أنت تطرده ، فإذا أدخلت الدنس وتمرغت فى الحمأة ، وفقدت النور واشتركت فى الظلمة بسبب تراخيك أسلمت ذاتك إلى العدو النجس .

إن الإله القدوس رضى بأن يسكن فى هيكلك على الدوام وأما أنت فأحزنت السيد الصالح الرب الذى لا يشبع منه والتائق إلى أن يعطيك ملكه لأن الله يسكن فى الصائرين هياكل طاهرة لا عيب فيها ، فإن وددت أن يسكن الله دائماً فى هيكل جسدك كل أيامك التى تعيشها على الأرض فهو يسكنك ويريحك فى فردوسه ، فى النور الذى لا يوصف والحياة التى لا تموت إلى أبد الدهور فى فرح عظيم .

أترانى قد سمعت بهذا وقرأته: «يوماً واحداً فى ديارك خير لى من ألف» (مز٨٣:١١) افتح قلبك وارتض أن تشتاق إلى الله كل أيام حياتك ، إنه حلاوة وإستنارة وفرح دائم فإن صبوت دائماً إلى الاشتياق إلى الله يسكن هذا فيك إلى الأبد ، الله غيور وطاهر قدوس يقيم فى نفوس الذين يتقونه ويصنع مراد الذين يحبونه ، أتود أن تكون طاهراً لا عيب فيك؟ إذاً ارسم أيقونته دائماً فى قلبك ، واعنى بأيقونة الله لا تلك المرسومة بالأصابع على ورقة أو خلافها بل تلك الملونة فى النفس على منوال باهر

بالأعمال الحسنة والأصوام ، بالإمساك وصنع أعمال الفضائل الحسنة والأسهار والصلوات ، فأصباغ صورة السيد السمائى هى ممارسة الفضائل والأفكار النقية والتجرد من الأرضيات مع الطهارة والوداعة ، إذ بدون الجهاد لا يُكلل أحد فى العالم وفى الحياة النسكية لا يمكن أن ينال أحد الأكاليل التى لا تذبل والحياة الخالدة بدون صبر واجتهاد . .

أطلب منك يا أخى المحبوب أن تصير مشابهاً للآباء السالكين فى البتولية الطاهرة والنسك ، فى الصلاة والصوم... احبب النسك وتق إلى الصلاة التى هى مخاطبة السيد لأن كل صلاة مقدسة ونقية تخاطب السيد ، ان صلاة المشتاقين كلياً إلى الله ترتقى إلى السماء باستمرار وفرح عظيم وتبتهج بها الملائكة ورؤساء الملائكة ويرفعونها إلى عرش العلى القدوس حينئذ يكون السرور إذ يقدمون لله صلوات الصديقين) .

أما **القديس يعقوب السروجى** فقد تحدث فى ميمره الثامن والثلاثين عن البتولية (*) التى يرى أنها طريق مرتفعة فوق الإرتفاع وتحت قدميها كل ارتفاعات العالم فهى التى تباهى بها آدم قبل أن يأكل من الشجرة ، وايضا فى هذه الدرجة المجيدة المرتفعة الممتلئة حسناً عاشت حواء قبل أن تغويها الحية ، فالبتولية هى درجة الكمال ، وهى تسير مع الملائكة فى الأعالى فوق العالم ، فهى بجناحاتها العظيمة ترتفع فوق العالم ولا تطلب شيئاً منه ، لا تهتم قط ببنين أو بنات بل تحب الاسم الحسن وتفتخر به...

ويرى القديس أن هذا العالم ليس موضع البتولية بل مكانها بين الملائكة ، أما عن نظرة القديس للبتولية والزواج فتتضح من قوله: «إن من يثبت فى البتولية هو من الروحانيين ، أما الذى يسير فى طريق المتزوجين فهو من القديسين» ، ويصف الإنسان البتول بأنه قائم مع صفوف الملاك غبريال ، أما المتزوج فهو متكأ مع ابراهيم .

ويقدم ماريعقوب العذراء القديسة مريم كأعظم مثال على البتولية ، فقد حل الله الكلمة فى البتول وأعطاها إكليل البتولية وبذا تعلمنا أن البتولية هى أعظم طريق ودرب ، فليس هناك فضيلة تبلغ عظم البتولية ، ورب المجد يسوع عندما اختار أن يحل فى بتول

(*) اعتمدنا فى عرضنا لفكر ماريعقوب السروجى عن البتولية على ميمره الثامن والثلاثين والمنشور فى كتاب «مواعظ السروجى» ـ مطبعة مصر بالفجالة ـ ١٩٠٣م ـ صـ٤٢٦:٤٣٠.

أوضح وأعلن أنه يحب البتولية .

فالبتولية هى زهرة مرتفعة فى السماء بين الملائكة ، وليس أعلى منها إلا الأزلى الذى صور فيها مثاله حين خلقه ، وهى رأس جميع الفضائل...

والبتولية أولاً ورثت شجرة الحياة (حواء وآدم قبل السقوط) .

البتولية أهلت للفردوس (بالعذراء مريم) .

البتولية إتكأت على صدر ابن الله وتعلمت منه الأسرار الخفية عن التلاميذ (القديس يوحنا الحبيب) .

البتولية حركت الأرض والسماء (إيليا النبى) .

البتولية مهدت الأرض لبشارة الملكوت (القديس يوحنا المعمدان) وهى عروس الملك المخطوبة له لتفرح معه ، ولها ينظر ويرى حسنها وبهاءها لملائكته ، فقد تركت الزواج وخطبت إلى غير المائت لتزف إليه هو الختن الحقيقى ، وعريس البتولية يأتى عندما تنحل السماء والأرض ويقوم الموتى من قبورهم ويسمع الصوت القائل «هوذا العريس قد أقبل فاخرجن للقائه» حينئذ ترفع البتولية رأسها لإستقبال العريس ، وفى العرس تفرح بالعريس المتكئ مع القديسين ، ويفرح بها العريس لأنها صعدت من الجهاد الصالح البار ، ويضع لها أكاليل النور البهى المجيد ، وهناك تفرح لأنها جازت من العالم وباحتراسها ازدرت به هناك تُسر لأن جوهرتها لم يسرقها اللصوص ، هناك تفرح وتتهلل سفينتها المتعبة من الجهاد لأنها لم تتحطم بين أمواج العالم الشرير ، ففى ذلك العرس ترتفع رأس البتولية لأنها كانت تنتظره ولأجله تركت عنها كل مسرة جسدانية ، فمن أجل مجد العرس الأبدى بغضت كل مجد باطل ، ومن أجل فراش النور الغير ملموس رضيت أن تبغض فراش المتزوجين .

وبعد يعقوب السروجى جاء **يوحنا الدمشقي** ليكتب مقالته(*) والتى يرد فيها على هؤلاء الذين يرفضون البتولية مستشهدين بما كتب فى (تث٢٥ :٩) «ملعون كل من لم يقم نسلاً فى اسرائيل» ، ويرد عليهم بأن الله الكلمة تجسد من عذراء بتول ، والبتولية فى طبيعة البشر لأن الله جبل الإنسان من أرض بتول ، وخلق حواء من آدم وحده ،

(*) اعتمدنا فى عرضنا لمقالة يوحنا الدمشقى هنا على الترجمة العربية لها والواردة فى كتاب «المئة مقالة فى الإيمان الأرثوذكسى ليوحنا الدمشقى» ـ تعريب الأرشمندريت أدريانوس شكور ـ منشورات المكتبة البوليسية ـ الطبعة الأولى ١٩٨٤م ـ ص٢٦٨ :٢٧٠ .

وكان كلاهما يحيان فى بتولية فى الفردوس ، والكتاب المقدس يقول أن آدم وحواء كانا عريانين وهما لا يخجلان (تك٢٥) ولما تجاوزا الوصية علما أنهما عريانان ولخجلهما خاطا لهما مآزر ، وبعد المعصية ، لما سمع آدم القول الإلهى: «أنت تراب وإلى التراب تعود» (تك٣:١٩) ودخل الموت إلى العالم ، حينذاك عرف آدم حواء إمرأته فحملت وولدت ، ولكى لا ينقرض جنس البشر بالموت ، بدأ الزواج ليستمر جنس البشر فى الوجود بولادة الأولاد .

ويواجه الكاتب إعتراضاً آخر ، ذلك أن البعض ربما يقولون: «لماذا إذاً أرادهما الله ذكراً وأنثى (تك١:٢٧) ولماذا قال لهما انميا واكثرا (تك١:٢٨)» ويجيب على هذا التساؤل شارحاً أن عبارة «انميا واكثرا» لا تدل حتماً على التكثير بواسطة العلاقة الزوجية ، لأن الله كان قادراً على إكثار الجنس بطريقة أخرى لو أنهما حفظا وصيته حتى النهاية ، ويرى يوحنا الدمشقى أن الله إذ كان يعلم بسابق معرفته ـ وهو العالم بكل الأمور قبل أن تكون ـ أنهما سوف يسقطان فى المعصية وأنه سوف يحكم عليهما بالموت لذلك سبق فخلقهما ذكراً وأنثى وأمرهما أن ينميا ويكثرا .

ثم يورد أمثلة كتابية عن عظمة العفة والبتولية ، فإيليا قائد المركبة النارية عبر السماء كان بتولاً ، وأعظم شاهد على ذلك هو إرتقاؤه إلى السماء ، ويتساءل الدمشقى «من أغلق السموات؟ من أقام الموتى؟ من فلق نهر الأردن؟ أليس إيليا البتول؟ وإليشع تلميذه ، ألم يظهر فضيلة مساوية لفضيلته عندما سأل فأُعطى نعمة روحه ضعفين؟» .

ويورد ايضاً مثال الفتية الثلاثة الذين تدربوا على البتولية فانتصروا على النار ، لأن أجسادهم صارت مع البتولية بعيدة عن النار ، وكذلك دانيال المتقوى بالبتولية ، لم تقربه أنياب الوحوش ، والله نفسه كان إذا سيتراءى للإسرائيليين يأمرهم أن يحفظوا الجسد نقياً طاهراً ، وكان الكهنة يتعففون قبل ذهابهم للخدمة وتقديم الذبائح .

وشرح أن البتولية سيرة الملائكة ، ويستدرك ليوضح أن هذا ليس إحتقاراً للزواج لأن الرب فى حضوره العرس بارك الزواج ، ولأنه مكتوب «ليكن الزواج مكرماً عند كل واحد والمضجع غير نجس» (عب١٣:٤) ولكن البتولية أحسن مما هو حسن ، فالفضائل درجات ومراتب ، ويشرح بأسلوب حكيم: «نعلم أن البشر جميعاً ثمرة الزواج عدا أبوينا

الأولين اللذين هما جبلة البتولية لا الزواج ، لكن ، كما قلنا ، طالما أن عدم الزواج هو شبه بالملائكة ، إذاً البتولية هى أكرم وأسمى من الزواج بقدر ما يسمو الملاك عن الإنسان» .

ويعلن يوحنا الدمشقى أن المسيح نفسه فخر البتولية علّم عن البتولية بولادته من بتول ، فحقق فى نفسه البتولية الحقيقية الكاملة ، ومن ثم لم يوصنا بها وهو القائل: «ليس الجميع يقبلون هذا الكلام» (مت١٩ :١١)بل علمنا إياها بعمله ومنحنا القوة فى سبيلها ، «ومن ذا الذى لا يرى البتولية معاشة اليوم بين البشر؟» .

مراجع الباب الأول

١) أسد رستم: ***آباء الكنيسة فى القرون الثلاثة الأولى*** ـ منشورات النور .

٢) الأب ألياس كويتر المخلصى: ***القديس باسيليوس الكبير*** ـ المكتبة البولسية .

٣) ----------: ***خطيب الكنيسة الأعظم القديس يوحنا ذهبى الفم*** ـ المكتبة البولسية .

٤) ----------: ***مراقى الكمال الرهبانى*** ـ منشورات الرهبنة المخلصية .

٥) أنطون فهمى جورج: ***القديس إيسيذروس الفرمى*** (أدب الرسائل المسيحى) ـ سلسلة آباء الكنيسة ـ اخثوس $IX\Theta Y\Sigma$.

٦) ----------: ***القديس يوستين الشهيد والآباء المدافعون*** (الأدب الدفاعى المسيحى) ـ سلسلة آباء الكنيسة ـ اخثوس $IX\Theta Y\Sigma$.

٧) ----------: ***العلامة ترتليان الأفريقى*** (من آباء افريقيا) ـ سلسلة آباء الكنيسة ـ اخثوس $IX\Theta Y\Sigma$.

٨) اسبيرو جبور والأب افرآم كرياكوس: ***القديس افرآم السريانى*** (مختارات نسكية وزهدية) ـ مطرانية الروم الأرثوذكس باللاذقية .

٩) يوحنا الدمشقى: ***المئة مقالة فى الإيمان الأرثوذكسى*** ـ تعريب الأرشمندريت أدريانوس شكور ـ سلسلة الفكر المسيحى بين الأمس واليوم ـ منشورات المكتبة البولسية .

١٠) القديس ماريعقوب السروجى: ***مواعظ السروجى*** ـ مطبعة مصر بالفجالة .

11) Constantine N. Tsirpanlis: ***Introduction to Eastern Patristic Thought and Orthodox Theology***, Theology and Life Series, Michael Glazier Book .

12) Francis X. Murphy: ***The Christian Way of Life***, Message of The Fathers of the Church.

13) Maurice Wiles & Mark Santer: ***Documents in Early Christian Thought***, Cambridge University Press.

كتابات الآباء عن البتولية

القديس ميثوديوس «وليمة العشر عذارى»

القديس كبريانوس «ثياب العذارى»

القديس غريغوريوس «عن البتولية»

القديس امبروسيوس «عن العذارى»

القديس چيروم «الرسالة إلى استوكيوم»

القديس أغسطينوس «عن البتولية»

الفصل الأول

القديس ميثوديوس الأوليمبى

«وليمة العشر عذارى»

THE BANQUET OF THE TEN VIRGINS

فكرة كتاب "وليمة العشر عذارى"

إذ كان القديس ميثوديوس أديباً بارعاً وكاتباً ماهراً لذلك عندما أراد الحديث عن البتولية لم يكتب كتاباً عادياً تتوالى فيه الفقرات والأفكار ، بل صاغ فكره فى قصة كتبها هو وقدم تعليمه على لسان بطلاتها ....

وتروى القصة أن احدى العذارى جاءت لزيارته (ويستخدم لنفسه اسم يوبوليوس *Euboulios*) كى تخبره بما حدث فى الوليمة العظيمة التى أقامتها أريتى *Arete* (من بطلات القصة واسمها يعنى فى اليونانية «الفضيلة») لعشر من العذارى ، فيطلب يوبوليوس (ميثوديوس) منها أن تقص عليه ما حدث ، فتبدأ تروى له نقلا عن إحدى العذارى اللائى حضرن الوليمة وحكين لها ، والعشر عذارى هن :

مارسيلا	*Marcella*
ثيوفيلا	*Theophila*
ثاليا	*Thaleia*
ثيوباترا	*Theopatra*
ثالوسا	*Thallousa*
أجاثى	*Agathe*
بروسيلا	*Procilla*

تكلة *	*Thekla*
توسيان	*Tusiane*
دومينيا	*Domnina*

وروت هذه العذراء أنهن وصلن الى مكان اريتى بعد أن سرن فى طريق طويل شاق ومتعب (طريق الجهاد لاقتناء الفضيلة) ثم وصلن فاستقبلتهن اريتى بفرح عظيم وقبلتهن بسرور ، ووصفت العذراء المكان بأنه كالفردوس بسبب عظم جماله ، ثم طلبت منهن اريتى أن تتحدث كل واحدة عن البتولية ، وبدأت كل منهن حديثها لتتناول الموضوع من زاوية معينة ، وهكذا هيأ القديس ميثوديوس لنفسه السبيل لتقديم رؤية متكاملة عن البتولية ، بأسلوب شيق وجذاب ، وإن تعرض احياناً لموضوعات أخرى مثل الهراطقة .... وفى ختام الوليمة تطلب اريتى من العذارى أن يسبحن ويشكرن الله وأن تتولى تكلة قيادة هذا الخورس ، فكانت هذه التسبحة العميقة التى ترجمناها كما هى (فى نهاية الفصل) .

سمات الكاتب الاسلوبية والفكرية

١ - كتابى إنجيلى

فنجد كتابه ملئ بالاستشهادات الكتابية من العهدين القديم والجديد ، وكثيراً ما يذكر الآيات عن ظهر قلب دلالة على عمقه الكتابى ، وقد ذكر الكثير من النصوص الانجيلية التى تتحدث عن البتولية والعفة ، سواء التى تتحدث عنها صراحة أو بالرمز ، كما يأخذنا من العهد القديم الى العهد الجديد ومن القديم الى الجديد ببراعة فائقة .

٢ - يستخدم المنهج الرمزى

فمع أنه يعيب على أوريجانوس استخدامه للمنهج الرمزى ، إلا أنه استخدمه فى تفسير الكتاب المقدس ، ويبدو أنه لم يكن يرفض المنهج الرمزى نفسه ، بل كان يرفض الافراط فيه لدرجة اغفال المعنى الحرفى تماماً ، ومن أمثلة منهجه الرمزى :

(*) على اسم القديسة تكلة تلميذة بولس الرسول .

الصفصاف (مز ١٣٧) رمز للبتولية .
القيثارة التى علقت عليه رمز للجسد البشرى .
أنهار بابل رمز لتيارات الشهوات والأهواء .
السوسن (فى نشيد الأنشاد) رمز للبتولية .
امرأة سفر الرؤيا رمز للكنيسة .
طفلها رمز للانسان الذى يولد فى جرن المعمودية .
بجانب رموز أخرى عديدة .

٣ - متمكن من ناصية اللغة اليونانية

ويجيد توظيف الكلمات واستخدام الكلمة الواحدة بأكثر من معنى ، ففى حديثه عن المزمور (١٣٧) «على أنهار بابل هناك جلسنا ...» استخدم كلمة «ارغانون Αργανον » أولا بمعنى «قيثارة» ثم استخدمها ثانية بمعنى «الجسد» ، ويقصد به هنا نظام الجسد الانسانى الطبيعى الفيزيائى ، وهذا الاستخدام المزدوج يتوافق مع الفكر الذى يريد أن يقدمه ، فقد شرح فى هذه الفقرات أن القيثارة رمز للجسد الذى نعلقه على شجرة الصفصاف التى هى البتولية ، فهو يرى أن القيثارة رمز للجسد ولعل هذا هو السبب الذى جعله يستخدم كلمة واحدة لكليهما ، تلك هى «ارغانون *Αργανον*» .

وفى تحليله اللغوى لكلمة بتولية ، يقول أن كلمة «بتولية» بتغيير حرف واحد تصير «إلهية» فكلمة «بتولية» فى اللغة اليونانية هى« *Παρθενια* » وبحذف حرف واحد وهو الـ «ν» تصير « *Παρθεια* » التى تعنى «إلهية» .

٤ - استشهد بهوميروس أكثر من مرة

فنجده فى أول صفحة من كتابه يذكر مقطع من هوميروس ، وفى معرض حديثه عن شجرة الصفصاف يقول «كما أوضح هوميروس ايضاً ولهذا السبب قال أن شجرة الصفصاف بلا ثمر» ويذكر فى حديثه سبعة أبيات من هوميروس .

٥ - متأثر بأفلاطون.

ففكرة وليمة العشر عذارى مستعارة من عمل أفلاطون «الوليمة *Symposium* » ولكن ميثوديوس صاغ عمله بحيث يقدم مقابلة قوية بين الحس الفلسفى الكاذب وبين العفة السماوية التى لهؤلاء الذين يذكرهم الانجيل ويصفهم بـ «أنقياء القلب» والذين يحيون على الأرض علىٰ رجاء الدعوة والوعود الالهية .

كما تأثر بأفلاطون فى نظرية المحاكاة *Theory of Imitation* فقد رأى أفلاطون أن الصورة المرسومة (مثلاً) هى محاكاة للصورة الأصلية الطبيعية ، ولكن هذه الأخيرة هى محاكاة للصورة المثالية الحقيقية ، وهكذا تكون الصورة المرسومة محاكاة للمحاكاة *Imitation of an Imitation* ، بالمثل رأى ميثوديوس أن خيمة الاجتماع هى ظل للكنيسة التى هى صورة للسماء ، فخيمة الاجتماع محاكاة لمحاكاة الأصل (الخيمة ، الكنيسة ، السماء) .

✝ ✝ ✝

عرض الكتاب

البتولية والسلوك العذراوى *

ينظر القديس ميثوديوس للبتولية على أنها «شئ عظيم فائق عجيب ومجيد» فهى جذر الأبدية وايضاً زهرتها وأولى ثمراتها ، ولكنها تتطلب طبيعة قوية تعبر فوق بحر الشهوات وتوجه سفينة الروح الى أعلى بعيداً عن الأرض حتى تعلو فوق العالم وتتأمل بنقاوة فى الأبدية نفسها .

ويرى أن البتولية مع أنها حياة على الأرض إلا أنها «وصول الى السماء» ، وأن الذين اشتاقوا إليها ولكنهم لم يفكروا إلا فى نهايتها فقط حادوا عن الطريق الصحيح وضلوا بسبب قساوة عقولهم ، لأنهم لم يفهموا معنى السلوك العذراوى *Virginal* فى الحياة ، وهنا يوضح القديس ميثوديوس أن البتولية لا تعنى فقط حفظ الجسد بلا دنس بل «يجب أن لا نفكر فى الهيكل أكثر من صورة الله» ، وهو يقصد بـ «الهيكل» الجسد ، وبـ «صورة الله» الروح ، فالروح تاج الجسد ويجب أن نهتم بها ونزينها بالبر والتقوى ، ومتى فعلنا هذا تصير أجسادنا خادمة لأرواحنا ، عندما نجاهد بلا كلل من أجل التمتع بالكلام الالهى ، فتكون المكافأة «معرفة الحق» .

ويشبه القديس عمل وأثر التعليم الالهى فى القضاء على شهوات الجسد الغير عاقلة بالملح الذى يحفظ الطعام من الفساد ، فالنفس «التى لا تُنثر عليها كلمات المسيح مثل الملح ، تفسد وتنتج دوداً ، كما صرخ داود النبى : قد انتنت ، قاحت جروحى» فهو لم يملح نفسه بالتدريبات اللائقة كى يخضع شهواته الجسدية ويقمعها ، بل انجذب لشهواته وأهوائه فسقط فى الزنا ..

ويشير ميثوديوس هنا فى حديثه عن الملح إلى سفر اللاويين وتقدمة القرابين «لذا فى سفر اللاويين لا تقدم أى تقدمة كقربان لله ما لم تُملح أولا بالملح» .

والتأمل الالهى فى الكتاب المقدس هو الملح الذى أُعطى لنا ، والذى بالرغم من

---

*) العناوين الجانبية من وضع المترجم .

ملوحتـه يطهر وينقـى ويحفظ ، وبدونه «مستحيل ان تُحضـــر النفس الى الله ، لأن الـرب قال لرسلـه : أنتـم ملح الارض» .

أما عن محبة الترف والكسل ، فيُحذر منها القديس ميثوديوس العذارى ، ويحثهن على محبة الأشياء الكريمة والتقدم فى طريق الحكمة وعدم الاهتمام بأى شىء فيه كسل أو ترف ، ويجب أن تتأمل العذارى فى الأمور اللائقة بحياة البتولية ، وتبتعدن عن فساد الترف لئلا «ينتج بعض الفساد الخفى دود الزنـا ، لأن المبارك بولس الرسول يقول : غير المتزوجة تهتم فيما للرب لتكون مقدسة جسداً وروحاً» .

تدرجية فكر البتولية

يتحدث القديس ميثوديوس بعد ذلك عن المراحل التى اعدها الله لنمو الانسان فى طريق الكمال ، ويرى ان البتولية «نبتة من السماء *Plant from Heaven*» ، لـذا لم تُعلن للأجيال البشرية الأولى ، لأن الجنس البشرى كان ضئيلاً فى العدد ، وكان لابد له أن يزيد وينمو حتى تمتلئ الارض ، لذلك كان الرجال فى الأزمنة القديمة يعتبرون اتخاذهم من أخواتهم زوجات لهم امراً عادياً ، حتى فرقت الشريعة بينهم وأعلنت أن هذه خطية ، ولعنت كل من «يعرى عورة» أخته ، ويشبه ميثوديوس عمل الله مع البشرية ورحمته الواسعة بها بعمل الوالدين مع أبنائهما وتربيتهما لهم ، فالوالدان يتركان أولادهما فى فترة طفولتهم يلهون ويلعبون ، ثم يرسلانهم إلى معلمين حتى يلقوا عنهم «ثوب العقل الصبيانى» ويمضون قدماً نحو ما هو أعظم ثم يتقدموا بعد ذلك إلى ثبات أعظم ، وهكذا فعل الله مع أجدادنا ، فعندما لم يكن العالم قد امتلأ بعد بالناس كان مثل طفل ، وكان أمراً ضرورياً أن يمتلئ أولاً بهم ثم ينمو بعد ذلك الى الرجولة ، وبعد أن امتلأ فعلاً بهم ، نقل الله البشرية الى مرحلة اخرى ، فمنع زواج الأخوات وأمر بالزواج من عائلات أخرى ، ثم كانت المرحلة التالية ان يتركوا تعدد الزوجات ويكون لكل رجل زوجة واحدة فقط ولا يفعلوا مثل الحيوانات التى تولد من اجل زيادة النوع فقط ، ثم نقلهم لمرحلة اخرى ان يبتعدوا عن الزنا ثم أن يسلكوا بعفة وطهارة ، ثم يتقدمون من العفة الى البتولية ، وعندما يدربون انفسهم على قمع الجسد واستعباده «يبحرون بلا خوف نحو سماء الأبدية المملؤة سلاماً» .

بعد أن تحدث ميثوديوس عن مراحل نمو البشرية فى طريق الكمال ، بدأ يتحدث عن الكمال نفسه الذى هو البتولية ، وطرح سؤالاً : «لماذا لم يعلم أو يمدح أياً من البطاركة (أى رؤساء الأباء) أو الأنبياء أو الرجال الأبرار ــ الذين علموا وعملوا الكثير من الأعمال والأشياء الصالحة ــ البتولية أو اختارها حياة له؟» .

المسيح معلم البتولية

وعلى الفور يقدم هو نفسه الاجابة «لأنها كانت محفوظة للرب لكى يكون أول من علم هذه العقيدة ، لأنه وحده ، الذى نزل إلينا ، علم الإنسان الاقتراب من الله ، وكان لائقاً بذاك الذى هو أول ورئيس الكهنة ، وأول ورئيس الانبياء ، وأول ورئيس الملائكة أن يكون أول ورئيس المتبتلين والعذارى ، فالإنسان فى الازمنة القديمة السابقة لتجسد الكلمة لم يكن كاملاً ، وبالتالى لم يستطع نوال «الكمال الذى هو البتولية» فالبتولية هى الكمال ، واحتاج الانسان المخلوق على صورة الله أن ينال هذا الكمال وهذه البتولية التى هى بحسب شبه الله ، هذا الشبه الذى تجسد الكلمة ابن الله ليكمله فى الانسان ، واتخذ شكلنا الذى تشوه بالآثام والخطايا الكثيرة كى يستعيد لهذه الطبيعة البشرية الشكل الالهى *Divine Form* مرة اخرى ، ونحن نصير فعلاً فى شبه الله عندما «مثل رسامين مهرة ، نُظهر ملامحه فى حياتنا البشرية طابعين اياها علينا كما على الواح ، متعلمين الطريق التى أرانا اياها» .

ويرى القديس ميثوديوس ان السيد المسيح حفظ جسده غير فاسد فى البتولية حتى أننا ايضاً ــ عندما نصل الى شبه الله والمسيح ــ «نكرم البتولية ونمجدها» لأن شبه الله لا يقربه فساد ، ويرى القديس أن يوحنا الرائى البتول أوضح أن الكلمة عندما تجسد صار البتول الأعظم *Chief Virgin* بنفس الطريقة كما أنه هو الراعى الاعظم ونبى الكنيسة الأعظم ، بقوله : (ثم نظرت وإذا خروف واقف على جبل صهيون ومعه مئة وأربعة وأربعون الفاً لهم اسم ابيه مكتوباً على جباههم ، وسمعت صوتاً من السماء كصوت مياه كثيرة وكصوت رعد عظيم ، وسمعت صوتاً كصوت ضاربين بالقيثارة يضربون بقيثاراتهم ، وهم يترنمون بترنيمة جديدة أمام العرش وأمام الاربعة المخلوقات والشيوخ ولم يستطع احد ان يتعلم الترنيمة الا المئة والاربعة والاربعون الفاً الذين اُشتروا من الارض ،

هؤلاء هم الذين لم يتنجسوا مع النساء لأنهم أطهار ، هؤلاء هم الذين يتبعون الخروف حيثما ذهب) (رؤ ١٤ : ١-٤) .

فيوحنا الحبيب يعلن أن المسيح هو قائد خورس المتبتلين ، ويرى ميثوديوس الاوليمبى ايضاً فى رؤيا يوحنا دليلاً على عظم كرامة البتولية فى عينى الله .

(هؤلاء اشتروا من بين الناس باكورة لله وللخروف وفى أفواههم لم يوجد غش لانهم بلا عيب قدام عرش الله) (رؤ ١٤ :٤ ــ ٥) ، ويرى القديس ميثوديوس ان يوحنا قصد بذلك ان يعلمنا ان عدد المتبتلين والعذارى محدود فى عدد معين صغير اى ١٤٤ الفاً ، بينما جمع القديسين كبير جداً لا يُحصى : (بعد هذا نظرت وإذا جمع كثير لم يستطع أحد أن يعده من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة) (رؤ ٧ : ٩) .

ويجد ميثوديوس فى ذلك «مقابلة واضحة ومقارنة ، ففى حالة القديسين ذكر يوحنا عدد لا يُحصى ، أما المتبتلين فذكر عدد صغير محدود» .

بين الزيجة والبتولية

واوضح القديس ميثوديوس انه بالرغم من حديثه عن البتولية الا ان هذا لا يعنى رفض الزيجة ، لأن الرب بعد ان علم عن البتولية ، لم يلغ انجاب الاطفال ، لانه «مع ان القمر يمكن ان يكون أبهى واعظم من النجوم إلا أن نوره لا يلغى أنوار النجوم الأخرى» ، بل يرى أنها حماقة أن نعتبر انجاب الاطفال خطية «لأن الله نفسه ما زال يصنع ويشكل بشراً» .

وبالرغم من ان البتولية هى الكمال إلا أنها ليست العمل الوحيد الصالح ، فرغم أن العسل أحلى وألذ من الاشيـــاء الأخرى ، إلا أن هذا ليس سبباً يجعلنا نعتقد أن الاشيـــاء الأخرى ، الممزوجة بحلاوة الفاكهة الطبيعية ، مرة ، ويتخذ القديس ميثوديوس من القديس بولس الرسول شاهداً على صحة كلامه هذا ، لأن الرسول يقول : (من زوج (يتزوج) فحسناً يفعل ومن لا يزوج (يتزوج) يفعل أحسن) (١ كو ٧ :٣٨) فهذه الآيـة فى تحديدها لما هـو أفضل وأحسن وأحـلى ، لم ترفـض أو تلغ الأقـل حـلاوة أو

صلاحاً بل ترتبهما لتوضح نفع واستخدام كل منهما ، لان البعض لم يُعطوا أن يعيشوا فى بتولية ، بينما رفض البعض الآخر أن يخضعوا لشهوتهم بسبب الرغبة فى الانجاب ، لذا يتأملون فى تجلى الجسد إلى شبه الملائكة عندما (لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله فى السماء) (مت ٢٢ : ٣٠) كما يقول الرب ، ويوضح ميثوديوس هنا أن البتولية لم تُعطى للجميع بل للذين يستطيعون أن يحفظوا «زهرة البتولية اليانعة دوماً التى لا تذبل أبداً» ، لأنها كانت عادة الكلمة النبوية أن تشبه الكنيسة بزهرة مغطاة وببستان ملون مزين ليس فقط بزهور البتولية بل بزهور الانجاب والطهارة ايضاً لأنه مكتوب «جعلت الملكة عن يمينك بذهب ... منسوجة بذهب ملابسها ، بملابس مطرزة تحضر الى الملك» (مز ٤٥ : ١٠،١٣ ــ ١٤) .

ويعرض القديس ميثوديوس فكر القديس بولس الرسول عن البتولية والزواج ، ويحث العذارى قائلا : «انظرن كيف كان يسعى راغباً بكلِ قوته أن يكون جميع المؤمنين فى المسيح أطهاراً وأنقياء ، مجاهداً بمحاججات كثيرة ليُظهر كرامة العفة كما قال : (وأما من جهة الأمور التى كتبتم لى عنها فحسن للرجل أن لا يمس امرأة) (١كو٧:١) ، فالرسول هنا يوضح أنه أمر صالح أن لا يمس الرجل امرأة ، ولكن بعد ذلك لمعرفته بضعف البعض ، سمح لهؤلاء الغير قادرين على إستعباد أجسادهم وقمعها أن يتزوجوا لأن ذلك أفضل من أن يسقطوا فى هوة الزنا ، ويسمى القديس ميثوديوس حديث بولس الرسول هذا إذناً *Permission* ، فيقول أن الرسول بعد أن أعطى هذا الاذن أضاف على الفور : (لئلا يجربكم الشيطان لسبب عدم نزاهتكم) (١ كو ٧ : ٥) ، ويرى أن هذه الكلمات تعنى «إذا لم تستطيعوا بسبب شهوتكم ونعومة أجسادكم أن تعيشوا فى بتولية تامة ، فإنى أسمح لكم أن تتزوجوا لئلا ، بعد أن تنذروا البتولية الكاملة ، يجربكم الشرير دوماً وتتحرقون باشتهائكم زوجات الآخرين» .

وبعين انجيلية يتأمل القديس ميثوديوس فى حديث معلمنا بولس الرسول ويطلب من العذارى أن يفحصن جيداً كلمات الرسول ويلاحظن أنها ليست للجميع ، فالرسول أوضح سبب حديثه هذا لأنه بعد أن قال (حسن للرجل أن لا يمس امرأة) أضاف فوراً (لكن بسبب الزنا ، ليكن لكل واحد امرأته وليكن لكل واحدة رجلها ، ليوف الرجل

المرأة حقـها الواجـب وكذلك المـرأة ايضا الرجـل ، ليس للمرأة تسلط على جسدها بل للرجل وكذلك الرجل ايضاً ولكننى أقـول هـذا على سبـيل الاذن لا على سبيل الأمر) (١كو ٧ : ١ - ٧) .

ويقـدم القديس ميثوديوس معلمنا بولس الرسول كمثال ونموذج ، على اعتبار أنه يفضل العفة وضبط النفس... ويستمر فى الاستشهاد بتعليمه: (فأريد أن تكونوا بلا هم غير المتزوج يهتم فيما للرب كيف يرضى الرب ، وأما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يرضى إمرأته ، إن بين الزوجة والعذراء فرقاً ، غير المتزوجة تهتم فيما للرب لتكون مقدسة جسداً وروحاً ، وأما المتزوجة فتهتم فيما للعالم كيف ترضى رجلها) (١كو٧:٣٢-٣٤) ويعلق القديس ميثوديوس على هذه الآيات قائلاً : «من الواضح هنا ، بلا أدنى شك ، أنه أفضل كثيراً أن يهتم الانسان فيما للرب وفيما يرضيه من أن يهتم فيما للعالم وفيما يرضى زوجته ، لأن من هو ذاك الذى من الحماقة والغباء بمكان بحيث لا يفهم ولا يرى فى هذه الكلمات المديح الكثير الذى يمدح به بولس العفة ؟ لأنه يقول :(هذا أقوله لخيركم ليس لكى ألقى عليكم وهقاً بل لأجل اللياقة والمثابرة للرب من دون ارتباك) (١ كو ٧ : ٣٥)» .

دعوة البتولية

يرى ميثوديوس أن القديس بولس الرسول يمدح البتولية كعطية وهبة من الله *gift from God* ، ويرفض الرسول هؤلاء الذين بالرغم من كونهم غير قادرين على قمع واستعباد أجسادهم ـــ بسبب محبة المجد الباطل ـــ يريدون أن يحيوا فى بتولية ، وينصحهم أن يتزوجوا لئلا فى أوقات شغب الجسد يسقطون فيما يدنس الروح ، لأن الرسول يقول : (ولكن إن كان أحد يظن أنه يعمل بدون لياقة نحو عذرائه إذا تجاوزت الوقت ، وهكذا لزم أن يصير ، فليفعل ما يريد ، انه لا يخطئ ، فليتزوج) (١كو٧:٣٦) والرسول هنا يفضل الزواج على عدم اللياقة فى حالة هؤلاء الذين اختاروا حياة البتولية ووجدوا أنها صعبة ولا يستطيعون إحتمالها ، وبينما يفتخرون ويتباهون أمام الناس بأنهم يحفظون بتوليتهم ، لم يعد لديهم القدرة أو القوة على أن يحيوا كخصيان خصوا أنفسهم من أجل ملكوت السموات ، ويقول القديس ميثوديوس : «يقول الرسول بولس أن ذاك

الذى يستطيع ويشتاق الى حفظ جسده عفيفاً طاهراً يفعل أحسن ، ولكن ذاك الذى لا يستطع ويتزوج زواجاً قانونياً ولا ينغمس فى فساد خفى يفعل حسناً .... فليمسك من يريد برسالة معلمنا بولس الرسول الى أهل كورنثوس ويفحص كلماتها ثم يتأمل فيما قلناه مقارناً هذا بذاك (ما قلناه بالرسالة) ليرى اذا كانت هناك اتفاق تام بينهما أم لا» .

مديح العفة

ويدعو القديس ميثوديوس العذارى الى مدح العفة قائلا :

«تعالوا ــ طبقا لمواهبنا ــ نمدح نجمة المسيح المتلألأة المجيدة جداً التى هى العفة» فالعفة هى نجمة المسيح .

يرى القديس أنه لم تكن هناك وسيلة أُعيد بها الانسان الى الفردوس وأزيل بها الفساد وتمت بها المصالحة مع الله ، وكانت وسيلة خلاص للناس باقتيادها ايانا الى الحياة ، مثل العفة ، فهى تمنحنا بركات عظيمة ، ذلك أنه بعد سقوط الانسان قديماً وطرده من الفردوس بسبب تعديه ، اندفع نهر الفساد بفيض فى تيارات عنيفة ، ولم يكن يحطم ما يلمسه من الخارج بل اندفع نحو الداخل مغرقاً أرواح البشر ، وكانت أجساد البشر ، المعرضة دوماً لتيارات الفساد هذه ، خرساء وحمقاء ، ولم تجد شيئاً ثابتاً تتشبث به ، لأن أمواج الحماقة تندفع بقوة داخل حواس النفس عندما تثيرها شهوات الجسد التى تأتيها من الخارج ، لذلك أشفق الله علينا نحن الذين كنا لا نقوى على القيام ، وأرسل لنا من السماء أعظم وأحسن معونة التى هى البتولية حتى نستطيع بها أن نحكم ونضبط أجسادنا بثبات ، مثل السفن ، ويصير لنا هدوء وسكون ونصل الى الميناء بغير خسائر أو أضرار .

ويذكر بعد ذلك أن الروح القدس يشهد على كلامه هذا ، فيقول أن النفوس فى المزمور ١٣٧ ترسل تسبحة شكر لله بفرح عظيم ، تلك النفوس التى أُمسكت وأُقيمت لتمشى مع المسيح فى السماء ، ولم تغمرها أو تغرقها تيارات هذا العالم وجموحات الجسد ، ويورد دليل كتابى آخر ضمن منهجه الانجيلى ، عندما يشرح أن فرعون كان مثالاً للشيطان فى مصر ، لأنه بلا رحمة أمر بإلقاء الذكور فى النهر وإبقاء الإناث أحياء

فالشيطان الذى كان يحكم من آدم وحتى موسى على مصر العظيمة التى هى العالم ، اهتم بأن تزال وتدمر الذرية العاقلة من الذكور بتيارات الشهوة والاهواء ، ولكنه يشتاق الى ازدياد الذرية الجسدية الغير عاقلة .

ثم يشرح القديس ميثوديوس المزمور ١٣٧ الذى ترنمه «الأرواح الطاهرة الغير دنسة لله» : (على أنهار بابل هناك جلسنا ، بكينا عندما تذكرنا صهيون ، على الصفصاف فى وسطها علقنا قيثاراتنا) ، مستخدماً المنهجية الرمزية فى التفسير ، إذ يرى ميثوديوس أن الأرواح الطاهرة التى تسبح هذا المزمور لله تُسمى قيثارات ، تلك التى علقوها على أغصان العفة مثبتين إياها فى الخشب كى لا ينزعها او يحملها أى تيار من الشهوة ، أما بابل ـ التى تعنى ازعاج او ارتباك ـ فهى تشير الى الحياة التى تنساب من حولها المياه ، ونحن نجلس فيها ، وتظل أنهار الشر ترتطم بنا طوال فترة وجودنا فى العالم ، لذلك نخاف دوماً ونئن ونصرخ الى الله بدموع لكى لا تنزع امواج الشهوة الجامحة قيثاراتنا وحتى لا تسقط قيثاراتنا من شجرة العفة ، لان الكتاب المقدس يتخذ دوماً من شجرة الصفصاف رمزاً للعفة لانها عندما ينقع ورقها فى الماء ويُشرب ذلك الماء يطفيء كل ما يشعل الشهوات والاهواء الجسدية داخلنا ويجعل كل ميل لإنجاب الأطفال بلا أثر أو تأثير، لذلك قال هوميروس أن شجرة الصفصاف بلا ثمر ، وفي أشعياء قيل عن البار (مثل الصفصاف على مجارى المياه) (اش ٤٤ :٤) «بالتأكيد إذاً يرفع برعم البتولية إلى علو عظيم مجيد عندما يبله ويُنديه البار الذى أُوكل اليه العناية بها ، وعندما يرتوى البار من اعذب أنهار المسيح» لانه من طبيعة هذه الشجرة ان تنمو وتنبت براعم داخل المياه ، وبالمثل هى طبيعة البتولية ان تزهر وتينع وتنضج عندما تُغذى بالكلمات الالهية ، حتى يستطيع الانسان ان يعلق جسده عليها .

الطريق الي حفظ العفة

ويرى القديس ميثوديوس انه إذا كانت انهار بابل هى التيارات الشهوانية الحسية التى تربك وتزعج النفس ، إذاً لابد ان تكون شجرة الصفصاف هى العفة التى يجب ان نعلق عليها اعضاء الشهوة التى تثقل الذهن ، لكى لا تسقطها سيول الشهوة وتسقط مثل الدود فى الفساد والدنس ، لأن الله اعطانا البتولية كأنفع واعظم معونة نقاوم بها الفساد

مرسلاً اياها كمعين لهؤلاء الذين يجاهدون من اجل صهيون ويشتاقون اليها كما يوضح المزمور .

واستكمالاً لتعليقه على المزمور ، يشرح ميثوديوس ان هؤلاء الذين يرتدون ثوب البتولية النقى اللامع الفريد اللائق والذين لم يخضعوا او يستجيبوا للشهوات ، هم الذين لا يسبحون الرب فى ارض غريبة لان آمالهم ورجاءهم ليست فى هذه الغربة ، إذ انهم لا يتمسكون بالشهوات الجسدية الزائلة بل يتمسكون بوصايا الرب ، وبنبل واشتياق عالى ورفيع ينظرون للوعود التى فوق ، متعطشين الى الابدية كمسكن مفرح وهبات الكرامة المختارة ، لانه يقول (ان نسيتك يا اورشليم تنس يمينى ، يلتصق لسانى بفمى ان لم اذكرك ، ان لم افضل اورشليم على اعظم فرحى) أى ان اورشليم هى الارواح الطاهرة النقية التى هى منكرة لذاتها والتى دخلت فى تيار البتولية النقى بشفاه طاهرة غير دنسة ، وهى (مخطوبة لرجل واحد) لكى تقدم (عذراء عفيفة للمسيح) فى السموات (تفتخر بإكليل الظفر بعد إنتصارها فى ساحة المعارك الطاهرة) (حك ٤ : ٢) .

لذلك يقول اشعياء النبى (قومى استنيرى (يا اورشليم) لانه قد جاء نورك ومجد الرب اشرق عليك) (أش ٦٠ :١) ومن الواضح للجميع ان هذه الوعود ستتحقق بعد القيامة لأن الروح القدس لا يتحدث عن تلك المدينة المشهورة فى اليهودية ، بل بحق عن تلك المدينة السماوية ، اورشليم المباركة ، التى يعلن الرب انها جميع النفوس التى يعدها الله للمكانة الاولى ، «فوق اعظم فرحى» فى الحياة الجديدة ، مجلساً هؤلاء الملتحفين بثوب البتولية الناصع البياض فى المسكن الطاهر النقى الذى للنور الذى لا يدنى منه .

وينتقل ميثوديوس من سفر المزامير والحكمة الى سفر ارميا ليعلق على قوله (هل تنسى عذراء زينتها او عروس منطقتها» (ار ٢ : ٣٦) ويرى أن هذا يعنى أنه يجب على العذراء أن لا تترك أو توسع زنار العفة باللهو والتشتت ، لان كلمة القلب تعنى قلبنا وعقلنا ، والزنار الذى يجمع ويحفظ ويثبت هدف وغاية النفس نحو العفة هو محبة الله الذى هو ربنا وربانا وراعينا يسوع الذى هو ايضاً حاكمنا وعريسنا الذى يوصينا ان نثبت الى المنتهى ، لأن الانسان لن يجد معونة اعظم من هذه القنية المرضية لله ، لذا يجب ان نحيا جميعاً العفة ونكرمها ونمدحها دوماً .

ويقول القديس ميثوديوس : «إنى مقتنع ـ بعد أن تعلمت ذلك كله من الكتاب المقدس ـ أن أعظم تقدمة وأكثرها مجداً ، التى لا يقارن بها شىء ، ويستطيع الإنسان تقديمها لله ، هى حياة البتولية» .

وانتقل القديس بعد ذلك ليتحدث عن التكريس الكلى الكامل لله ، وأوضح ان من يحفظ نفسه ويسهر فى أمر ، بينما يتشتت ويرتبك فى أمر آخر ، ليس مكرساً بكليته لله اذ لا يقدم الاشياء التى للروح والاشياء التى للجسد ، لكى يكون كاملاً تماماً ، وكعادته يورد ميثوديوس دليلاً كتابياً على حديثه ، وهنا يستشهد بقول الله لإبراهيم (خذ لى عجلة ثلثية وعنزة ثلثية وكبشاً ثلثياً ويمامة وحمامة) (تك١٥ :٩) فالله الذى أوصى ابراهيم ان يحضر له هذه الاشياء يريدنا أن نقدم له نفوسنا غير مجروحة مثل العجل ، ونقدم أجسادنا مثل عنزة لأنها تتسلق الأماكن العالية الشديدة الانحدار ، ونقدم له عقولنا مثل كبش لا يهرب ابداً فيسقط ويحيد عن الطريق الصحيح ، فإنه بهذا يكون الإنسان كاملاً ، عندما يقدم روحه وحواسه وعقله لله الذى ذكرهم برموز العجلة والعنزة والكبش ذوى الثلثة اعوام ، كأنهم يقدمون معرفة الثالوث النقية .

ويمضى ميثوديوس الاوليمبى قدماً فى منهجه الرمزى ليرى ان الله ربما يرمز بالعجلة والعنزة والكبش إلى بداية ووسط ونهاية الحياة ، متمنياً أن يقضى الإنسان أيام صباه ورجولته وأيامه المتقدمة بطهارة ونقاوة ويقدمها له ، وينتقل ميثوديوس من سفر التكوين إلى قول السيد المسيح لتلاميذه (لتكن أحقاؤكم ممنطقة وسرجكم موقدة وأنتم مثل اناس ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس حتى اذا جاء وقرع يفتحون له للوقت ، طوبى لأولئك العبيد الذين اذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين ، الحق اقول لكم انه يتمنطق ويتكئهم ويتقدمهم ويخدمهم ، وإن أتى فى الهزيع الثانى أو أتى فى الهزيع الثالث ووجدهم هكذا ، فطوبى لأولئك العبيد) ويرى ميثوديوس ان السيد المسيح يذكر هنا ثلاث هزعات (جمع هزيع) وثلاث مجيئات ، وهو بذلك يرمز إلى الثلاث مراحل التى فى حياتنا : الصبوة ، النضج ، الشيخوخة ، حتى إذا جاء وأخذنا من العالم بينما نحن فى المرحلة الاولى ، أى بينما نحن صبيان ، يجدنا مستعدين أنقياء ، ونفس الأمر فى الثانية

والثالثة ، لأن الهزيع الاول هو شباب الإنسان عندما يبدأ العقل فى الإنزعاج والارتباك ويظلم بسبب تغيرات الحياة لأن الجسد يزداد قوة ورغبة ، والهزيع الثانى هو النضج والرجولة عندما يبدأ الانسان فى الاستقرار والثبات ويجاهد ويقف ضد حروب الشهوة والغرور والإعجاب بالنفس ، أما الهزيع الثالث فهو تقدم الايام والشيخوخة التى تختفى فيها معظم الخيالات وتخمد الشهوات ويبدأ الجسد فى الذبول والضعف .

وبعد أن انتهى القديس من شرح المثل الانجيلى ، يحثنا بعد ذلك على الاستعداد والسهر الدائم لانه «من اللائق ان نشعل أنوار الإيمان التى لا تنطفئ فى القلب ، وان نسهر وننتظر سيدنا حتى اذا اتى وأخذ أياً منا فى المرحلة الأولى من حياتنا أو الثانية أو الثالثة ، يجدنا مستعدين عاملين بوصاياه ، فينيح نفوسنا فى أحضان القديسين ابراهيم واسحق ويعقوب» .

ويقول ارميا النبى (جيد للرجل ان يحمل النير منذ صباه) (مر ٣ : ٢٧) ، فجيد بالفعل للانسان ان يخضع رقبته لليد الالهية العالية منذ الصبوة ولا يترك ـــ حتى الشيخوخة ـــ القائد الذى يقوده ويرشده فى نقاء وطهارة ، عندما يجر الشرير عقلنا الى الامور الرديئة ، لان من هو ذاك الذى لا يتلقى ، خلال العينين والاذنين والتذوق والشم واللمس ، مسرات وملذات تجعله لا يستطيع أن يضبط نفسه كقائد *Driver* عليه ان يمنع جواده بشدة من الشتر ؟ فالذى «يقدم نفسه بالكمال لله هو ذاك الذى يجاهد لكى يحفظ جسده بلا دنس منذ الطفولة ، عائشاً فى بتولية ، لانها تعطى سريعاً عطايا الرجاء العظيمة التى يشتاق اليها هؤلاء الذين يجاهدون من اجلها ، وتطفئ الشهوات المفسدة وكل أهواء النفس» .

نذر البتولية

ينتقل بعد ذلك ميثوديوس ليتحدث عن نذر البتولية وعظمته وطبيعته ، فيرى ان ما كُتب فى الاصحاح السادس من سفر العدد يوضح لنا ان «العفة هى اعظم نذر فوق كل النذور» ، لأن الانسان يكون مكرساً بكليته لله ، ليس فقط عندما يبتعد عن الممارسات الزيجية ، بل عندما يحفظ جسده غير دنس بأى نوع من عدم اللياقة لأنه مكتوب (غير

المتزوجة تهتم فيما للرب لكى تكون مقدسة جسداً وروحاً) (١كو ٧ : ٣٤) وهذا يعنى ان الانسان يجب ان يكون مقدساً جسداً وروحاً مقدماً اعضائه للرب ، ثم اخذ القديس يشرح كيف يقدم الانسان نفسه بكليته الى الله :

الفم : عندما يفتح الانسان فمه للحديث فى موضوعات معينة ويغلقه فى اخرى ، عندما يفتحه لتفسير الكتاب المقدس او لتسبيح الله فى ايمان صادق وبتكريم وتوقير لائق ويضع عليه باباً ويحرسه ضد المحادثات الغبية .. عندئذ يكون فمه نقياً طاهراً مكرساً لله .

اللسان : (لسانى قلم) (مز ١٤ : ٢) فهو عضو الحكمة لأن كلمة الروح تُكتب به فى حروف واضحة من عمق وقوة الكتاب المقدس ، والرب نفسه ، الكاتب السريع الماهر فى كل العصور ، يسجل ويحقق وصية الآب بسرعة وخفة ، مصغياً للكلمات (خذ لنفسك لوحاً كبيراً واكتب عليه بقلم) (اش ٨ : ١) ، وعلى مثل هذا الكاتب الالهى تنطبق الكلمات (لسانى قلم) لأن القلم الجميل يتقدس ويقدم له ، ويكتب اشياء اجمل من الشعراء والخطباء .

العينان : عندما يعود الانسان عينيه ان لا تشتهيا جمال الجسد ولا تسرا بالمناظر الغير لائقة ، بل تشتهيا الأشياء العليا التى فوق ، حينئذ تكون عيناه نقيتين طاهرتين مكرستين لله .

الاذنان : عندما يغلق الانسان اذنيه ولا يصغى للكلام الردئ والشتائم ، وعندما يفتحهما لسماع كلمة الله وللحديث مع الرجال الحكماء ، حينئذ تكون اذناه نقيتين طاهرتين مكرستين لله .

اليدان : عندما يبعدهما الانسان عن المعاملات الرديئة ، وعن كل عمل وشهوة باطلة ، حينئذ تكون يداه نقيتين طاهرتين مكرستين لله .

القدمان : عندما يمنع الانسان قدميه من الذهاب الى الاماكن والموائد التى يوجد فيها رجال ارديا اشرار ، بل يجعلهما يسيران فى طريق الرب المستقيم ، محققين شيئاً

من الوصية ، حينئذ تكون قدماه نقيتين طاهرتين مكرستين لله .

القلب والعقل : عندما يحفظ الانسان قلبه نقياً مقدماً كل افكاره لله ، وعندما لا يفكر فى اى شر ، وعندما لا يعود للغضب اى سلطان عليه ، وعندما يتأمل فى ناموس الرب ليلاً ونهاراً ، فحينئذ يكون قلبه وعقله نقيين طاهرين مكرسين لله .

فهذا كله هو حفظ العفة العظيمة ونذرٌ نذرٍ عظيم

واجبات العذارى

ثم يمضى القديس فى شرح ما كتب بخصوص واجبات العذارى لأن هذا نافع لتعليمهن كيف يتقدمن نحو البتولية ، ويعلق على ما كُتب فى سفر العدد (٦ : ١-٤) (وكلم الرب موسى قائلاً : كلم بنى اسرائيل وقل لهم ، اذا انفرز رجل او امرأة لينذر نذر النذير لينتذر للرب ، فعن الخمر والمسكر يفترز ولا يشرب خل الخمر ولا خل المسكر ، ولا يشرب من نقيع العنب ولا يأكل عنباً رطباً ولا يابساً ، كل أيام نذره لا يأكل من كل ما يعمل من جفنة الخمر من العجم حتى القشر) ... ويشرح القديس ميثوديوس ان هذا يعنى انه يجب على كل من كرس حياته وقدم نفسه للرب ان يبتعد عن ثمار نبات الشر ، لانه بطبيعته يسبب سكراً وتشتيتاً للذهن ، لاننا نفهم من الكتاب المقدس ان هناك نوعين من العنب (الكروم) مختلفين بعضهما عن بعض :

الاول : يهب الحياة الابدية والبر .

الثانى : يسبب الجنون وضياع العقل .

فالأول هو الكرم الذى لا يُسكر بل يهب الفرح والبهجة ، الذى من تعاليمه ، كما من اغصان ، تتدلى عناقيد النعمة التى تقطر حباً ، هو ربنا يسوع المسيح الذى قال لتلاميذه : (انا الكرمة الحقيقية وابى الكرام .. وأنتم الاغصان) (يو ١٥ : ١-٥) .

اما الكرم البرى المنتج الموت فهو الشيطان الذى يقطر غضباً وسماً كما قال عنه موسى النبى (لأن من جفنة سدوم جفنتهم ومن كروم عمورة ، عنبهم عنب سم ولهم عناقيد مرارة ، خمرهم حمة الثعابين وسم الاصلال القاتل» (تث٣٢:٣٢)... والانسان

لا يسكر ولا يضيع عقله من الحزن او الشهوة كما يضيع بسبب الخمر ، لذلك أُمر ان لا تتذوق العذراء الخمر لكى تكون صاحية عاقلة ساهرة ، حتى تشعل مصابيح نور البر البهى من اجل الرب الذى يقول : (احترزوا لأنفسكم لئلا تسقط قلوبكم فى خمار وسكر وهموم الحياة فيصادفكم ذلك اليوم بغتة) (لو٢١ :٣٤) ، ويقول القديس انه ليس فقط ممنوعاً ان تتذوق العذارى الخمر بل وايضاً أى شيء مصنوع منه او يشبه .

ويخاطب القديس العذارى قائلاً انه يجب عليهن ان يحترسن ويحفظن انفسهن ، لئلا فيما تبتعد العذراء عن الخطايا التى هى نفسها شر ، تسقط فى اخرى شبيهة وقريبة للأولى ، وهكذا تهزم العذراء خطية وتنهزم من اخرى ، فيجب ان لا تتزين بأقمشة وملابس متنوعة أو بجواهر وذهب او بزينة الجسد الاخرى ، فهذه كلها اشياء تسكر النفس ، لذا اوصى ألا تترك العذراء نفسها تشترك فى احاديث النساء وضحكهن بل تبتعد عن الحديث الاحمق الذى للتسلية فقط ، لان هذا هو ما يربك العقل ويشتته ، والطريق المستقيم المؤدى الى السماء ليس فقط ان نتحاشى حجر العثرة الذى يعثر ويوقع ويدمر هؤلاء الذين تثيرهم شهوة الترف والملذات ، بل ايضاً ان نتحاشى هذه الاشياء الشبيهة .

قدسية البتولية

ويستطرد ميثوديوس ليعلم العذارى ان مذبح الله الغير دموى *unbloody altar* يرمز لجماعة المتبتلات العفيفات ، وهكذا تظهر البتولية كشيء عظيم مجيد ، لذا يجب ان تُحفظ بلا دنس فى نقاوة كاملة بدون أى مشاركة فى شهوات الجسد واهوائه ، بل يجب ان توضع امام تابوت العهد ، متمنطقة بالحكمة من اجل قدس الاقداس ، مرسلة رائحة حب عبقة للرب ، لانه يقول :(وتصنع مذبحاً لإيقاد البخور ، من خشب السنط تصنعه .. وتصنع العصوين من خشب السنط وتغشيهما بذهب ، وتجعله قدام الحجاب الذى امام تابوت الشهادة ، قدام الغطاء الذى على الشهادة حيث اجتمع بك ، فيوقد عليه هارون بخوراً عطراً كل صباح كل حين ، وحين يصعد هارون السرج فى العشية يوقده ، بخوراً امام الرب فى اجيالكم ، لا تصعدوا عليه بخوراً غريباً ولا محرقة او تقدمة ولا تسكبوا عليه سكيباً) (خر ٣٠ : ١ – ٩) .

ويرى القديس ان خيمة الاجتماع هى ظل للكنيسة التى هى صورة الاشياء السماوية ، فيقول : «ان اليهود تنبأوا بحياتنا هذه ولكننا نتنبأ عن الحياة السماوية ، لان خيمة الاجتماع رمز للكنيسة ، اذا من اللائق ان تكون المذابح رموزاً للاشياء التي داخل الكنيسة ، فالمذبح النحاس رمز لجماعة الأرامل ، لانهن مذبح حى لله ، اليه يحضرن العجول والعشور والتقدمات التى يرغبن فى تقديمها بحسب إرادتهن الحرة كذبيحة لله ، اما المذبح الذهب الموضوع داخل قدس الاقداس امام تابوت العهد ، الذى لا تُقدم عليه ذبائح القرابين فيرمز الى هؤلاء الذين يعيشون فى بتولية ، لان هؤلاء حفظوا اجسادهم طاهرة نقية ، مثل ذهب خالص ، من كل شهوة جسدية ، والذهب يمدح لسببين :

الأول : لأنه لايصدأ

الثانى : لأنه يشبه فى ألوانه أشعة الشمس

وهكذا هو رمز مناسب للبتولية التى بلا أى عيب أو دنس بل مشرقة دوماً بالنور الالهى ، لذلك ايضاً تقف قريبة من الله فى قدس الأقداس ، ومثل البخور ، تقدم للرب الصلوات التى تُقبل كرائحة عطرة ، كما اوضح يوحنا البتول أن البخور الذى فى مجامر الاربعة والعشرين قسيساً هو صلوات القديسين» .

بعد ذلك يتحدث القديس ميثوديوس البتول عن ان الانسان يأتى الى العالم ممنوحاً جمالاً فريداً مرتبطاً ونابعاً من الحكمة الالهية ، لان النفس البشرية تشابه فعلاً ذاك الذى كونها وخلقها ، عندما تعكس صورته النقية .

ولان الجمال الغير جسدى ، الذى لا يبتدأ ولا يفسد ، الذى لا يتغير ولا يشيخ ، الذى لا يحتاج لشىء ، الذى يستريح فى نفسه وفى النور الذى فى المواضع التى لا يعبر عنها ولا يدنى منها (الذى وحده له عدم الموت ساكناً فى نور لا يدنى منه الذى لم يره احد من الناس ولا يقدر ان يراه) (١ تيمو ٦ : ١٦) خلقنا على صورته ، لذلك نفوسنا عاقلة خالدة ، ولأنها خُلقت على صورة الله ، لذلك هى جميلة جمالاً فائقاً ، ولذلك ايضاً تسعى الارواح الشريرة لكى تدنس صورتها الجميلة الشبيهة بالله ، كما يوضح ارميا النبى وهو يوبخ اورشليم (جبهة امرأة زانية كانت لك ، ابيت ان تخجلى) (ار ٣ : ٣) موبخاً اياها وهى التى فسدت وقدمت نفسها للقوات التى حاربت ضدها

لتدنسها ، تلك التى تسعى لتسقط كل نفس مخطوبة للرب ، وتدنس جمال عقلها النقى .

ويستمر ميثوديوس فى حديثه عن جمال النفس ، فيؤكد أن من يحفظ هـذا الجمال بلا عيـب ولا تغيـير كما خلـقه ذاك الذى صنـعه وشكلـه ، محاكـياً ومقتدياً بالطبيعة الابدية ، ويصبح مثل صورة مجيدة ومقدسة ، سينقل الى السماء الى مدينة الطوباويين وسيسكن هناك .

والانسان يحفظ جماله كاملاً بلا دنس عندما يحميه بالبتولية فلا «تعميه حرارة الفساد التى من الخارج» بل يظل كما هو ويتزين بالبر ويتقدم كعروس لابن الله كما قال هو نفسه ، ويتحدث ميثوديوس عن أن نور العفة يجب أن يضاء فى الجسد كما فى مصباح ، وذلك فى مثل العشر عذارى ، لأن عدد العشر عذارى يرمز للنفوس التى آمنت بيسوع المسيح ، وترمز العشرة الى الطريق الوحيد الصحيح المؤدى الى السماء .

هدف الحياة العذراوية

ويشرح القـديس مثل العشـر عذارى ، قـائلاً : «ان خـمس منهن كن حكيمـات وحريصات وخمس جاهلات لانهن لم يفكرن مسبقاً أن يملأن مصابيحهن بالزيت ، فظللن بلا بر ، وبهذا يرمز الرب الى هؤلاء الذين يجاهدون ليحيوا فى بتولية ويبذلون كل طاقتهم فى هذا الجهاد ، ويعيشون فى طهارة وإعتدال ، وأيضاً الى هؤلاء الذين يعلنون ويفتخرون بأن هذا هو هدفهم ، ولكنهم يخضعون لتغيرات العالم ، فيصيرون صورة باهتة مظلمة للفضيلة بدلاً من أن يكونوا عمّالاً يقدمون الحق الحى نفسه» .

ويمضى ميثوديوس فى حديثه قائلاً ان الآية القائلة : (يشبه ملكوت السموات عشر عذارى اخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس) (مت ٢٥ : ١) تعنى ان جميعهن اتجهن لغاية واحدة وطرقن نفس الطريق ، فلقد رغبن جميعهن فى نفس الغاية والهدف ولذلك دُعين عشرة لانهن اخترن نفس النذر والدرب ، ولكنهن اختلفن بعد ذلك فى الطريق ، لان بعضهن اعد مؤنة وافرة لمصابيحهن التى كانت تُقاد بالزيت ، ولكن الخمس الاخريات كن مهملات يفكرن فقط فى الزمان الحاضر ، وهكذا انقسمت

العذارى الى مجموعتين :

الاولى حفظت حواسها الخمس ، تلك الحواس التى يعتبرها معظم الناس ابواب الحكمة ، نقية غير مدنسة بالخطايا ، بينما **الثانية** على النقيض ، افسدن انفسهن بكثرة من الخطايا ، ودنسن انفسهن بالشر ، ولانهن لم يستعبدن انفسهن ويضبطنها ولكونهن بعيدات عن كل بر ، لذا حملن ثماراً كثيرة من التعدى والاثم ، وكانت نتيجة ذلك ان منعن من الدخول واغلقت الابواب الالهية فى وجوههن .

ويعرّف القديس ميثوديوس العذراء التى تستحق أن تُدعى بإسم الخمس عذارى الحكيمات : هى تلك التى تحفظ ايمان الطرق الخمس المؤدية للفضيلة ــ النظر والتذوق والشم واللمس والسمع ــ نقياً صحيحاً ، لانها حفظت حواسها الخمس نقية طاهرة للسيد المسيح ، وكمصباح تجعل نور القداسة يشرق بوضوح وبهاء من خلال الحواس كلها كما علم السيد نفسه قائلاً : (جئت لألقى ناراً على الارض فماذا اريد لو اضطرمت) (لو١٢ :٤٩) ، وهو هنا يقصد بكلمة الأرض أجسادنا التى تمنى ان تشتعل فيها الحركة السريعة والانتشار النارى المتقد الحماس ، والزيت يمثل الحكمة والبر ، لانه بينما تمطر النفس بسخاء وتسكب هذه الاشياء النبيلة على الجسد ، يشتعل نور الفضيلة ولا ينطفئ ، فتضئ هذه الاعمال الصالحة البارة امام الناس (لكى يتمجد ابانا الذى فى السموات) (مت ٥ : ١٦) .

جعالة البتولية

وعلى لسان إحدى العذارى يقول القديس البتول :«إنى مخطوبة للكلمة الالهى ، وجعالتى هى إكليل الأبدية والغنى الذى من عند الآب ، وأنا أنتصر فى الأبدية وأتوج بزهور الحكمة المشرقة التى لا تذبل .... إنى واحدة فى الخورس مع المسيح الذى يوزع مكافآته فى السماء ، ذلك الخورس الواقف حول الملك غير المبتدئ الأبدى ... لقد صرت حاملة لمصباح ذى أنوار لا يُدنى منها ، واشترك فى تسبحة رؤساء الملائكة الجديدة ، معلنة النعمة الجديدة التى للكنيسة» ، ثم يقدم سبب حديثه هذا ، وهو أن جماعة العذارى يتبعن الرب دوماً ومعه أينما يكون ، وهذا ما رمز إليه يوحنا البتول الرائى بحديثه عن الأربعة والأربعين ألفاً البتوليين (رؤ ٧ : ٤) ، ثم يحث العذارى قائلاً :

«إمضين إذاً أيتها العذارى وإملئن آنيتكن بالبر لأن الساعة آتية عندما يجب أن تقومن وتقابلن العريس ، إذهبن واتركن بخفة ملذات ومسرات الحياة التى تربك النفس وبذا يمكنكن أن تحصلن على الوعود الالهية» .

بعد ذلك يوضح القديس أنه لن يقدم مدحاً للبتولية من مجرد كلام بشرى بل من ذاك الذى يهتم بالانسان ويعتنى به ، فهو الذى زرع هذه النبتة السمائية (البتولية) وهو محب لجمالها ، وكما يفعل ميثوديوس فى كل صفحات كتابه ، هكذا هنا ايضاً يعضد حديثه بأدلة وشواهد كتابية ، وهنا يتحدث من سفر نشيد الأنشاد ، فيقول أن كلامه واضح تماماً فى سفر النشيد لمن يريد أن يراه ، حيث يمدح المسيح بنفسه هؤلاء الذين يعيشون بثبات فى بتولية قائلاً : (كالسوسنة بين الأشواك كذلك حبيبتى بين البنات) (نش ٢ : ٢) مشبهاً العفة بالسوسن بسبب نقاوته وشذاه العطر وحلاوته وبهجته ، فالعفة مثل نبات ربيعى دائماً تخرج أبدية من بتلاتها وزنابقها البيضاء ، لذلك يحب الرب جمال تفتحها قائلاً : (قد سبيت قلبى يا أختى العروس ، قد سبيت قلبى بإحدى عينيك بقلادة واحدة من عنقك ، ما أحسن حبك يا أختى العروس ، كم محبتك أطيب من الخمر ، وكم رائحة أدهانك أطيب من كل الاطياب ، شفتاك يا عروس تقطران شهداً ، تحت لسانك عسل ولبن ورائحة ثيابك كرائحة لبنان ، أختى العروس جنة مغلقة عين مقفلة ينبوع مختوم) (نش ٤ : ٩-١٢) .

فهذا المديح يقوله السيد المسيح لهؤلاء الذين يحيون البتولية مسمياً إياهم جميعاً بالاسم الواحد الذى لعروسه ، لأن العروس يجب أن تُخطب للعريس وتُدعى باسمه ، ويجب أن تكون طاهرة نقية كحديقة مغلقة تفوح فيها روائح وشذا السموات ، والمسيح وحده يأتى ويجمعهم وهم يزهرون ويحملون بذاراً روحية ، لأن الكلمة لا يحب أى شئ من أشياء الجسد ، لأنه ليس من هذه الطبيعة لكى يُسر بأى من الأشياء الفاسدة الجسدانية الفانية ، مثل الأيدى أو الوجه أو الأقدام ، ولكنه ينظر الى الداخل ويُسر بالجمال الروحى الغير مادى .

ويعلق القديس ميثوديوس الأوليمبى قائلاً أنه من الواضح للجميع أنه توجد قوتان للنظر ، واحدة للنفس وأخرى للجسد ، ولكن الكلمة اختار تلك التى للفهم فقط قائلا:

(قد سبيت قلبى بإحدى عينيك وبقلادة واحدة من عنقك) (نش٤ :٩) ، وهذا يعنى: أن نظر ورؤية عقلك الجميلة ، قد جعلت قلبى يحبك ، فجمال العفة المجيد البهى يشرق من داخلك ...

فقلائد العنق تتكون من أحجار كريمة متنوعة ، والنفس التى تهتم بالجسد تضع حول عنقها الخارجى الجسدى هذه الزينة المنظورة لتخدع هؤلاء الناظرين اليها ، أما هؤلاء الذين يحيون فى عفة وبتولية فيزينون أنفسهم فى الداخل بزينة مكونة حقاً من أحجار كريمة متعددة الأنواع أى الحرية والحكمة والمحبة و.... ولا يهتمون بالزينة الوقتية التى ، مثل أوراق الشجر التى تزهر وتينع لمدة ساعة ، تجف بحدوث تغيرات الجسد ، لأن فى الانسان جمالين ، لكن الرب لا يقبل إلا الجمال الأبدى الذى فى الداخل ، يقبله قائلا : (قد سبيت قلبى بقلادة واحدة من عنقك) وهو يريد بهذا أن يقول أن ما يجعله يحب الانسان هو بهاؤه الداخلى الذى اشرق فى مجده ، كما يقول المزمور (كل مجد ابنة الملك من الداخل) (مز ٤٥ : ١٣) .

وخوفاً من أن يظن البعض من كلامه أن العذارى وحدهن سيخلصن ويتبررن ، أوضح القديس ميثوديوس أنه يجب أن لا يظن أحد أن باقى جماعة المؤمنين ستدان ، وأن العذارى وحدهن سينلن المواعيد الالهية ، لأنه سيكون هناك أمم وقبائل وألسنة بمقدار إيمان كل منهم ، ويقول القديس بولس الرسول : (مجد الشمس شئ ومجد القمر آخر ومجد النجوم آخر ، لأن نجماً يمتاز عن نجم فى المجد ، هكذا ايضاً قيامة الأموات) (١كو١٥ :٤١-٤٢) والرب نفسه لم يعد بأنه سيعطى نفس المجد والكرامة للجميع ، بل وعد البعض أنهم سيُحصون فى ملكوت السموات ، وآخرين بأنهم سيرثون الأرض وآخرين بأنهم سوف يرون الآب: «وهنا ايضاً يعلن أن خورس العذارى المقدس سيدخل أولاً فى معيته هو الى الحياة العتيدة فى الملكوت ، كما الى حجرة العرس ، لأنهن كن شهيدات ليس باحتمال آلامات الجسد لفترة قصيرة وجيزة بل باحتمالها طوال حياتهن ، لم يتمزقن من المصارعة فى الساحات والمجتلدات أملاً فى الفوز بجائزة العفة ، بل قاومن عذابات الشهوات والمخاوف والأحزان الشرسة ، لذا يأخذن مكافأتهن أول الكل ويجلسن فى المكانة الأولى التى لهؤلاء الذين ينالون الوعد» وهذه بلا شك هى النفوس التى

دعاها الكلمة عروسه وأخته ، ولكن عن باقى السرارى والعذارى كتب : (هن ستون ملكة وثمانون سرية وعذارى بلا عدد ، واحدة هى حمامتى كاملتى ، الوحيدة لأمها هى ، رأتها البنات فطوبنها ، الملكات والسرارى فمدحنها) (نش ٦ :٨) «لأنه من الواضح أن هناك بنات كثيرات للكنيسة ، ومنهن كلهن واحدة فقط هى المختارة ، الأعظم فى عينيها من الكل ، أعنى جماعة وخورس العذارى» .

البتولية والكنيسة

ثم يشرح القديس أن الكنيسة هى العروس الوحيدة الكاملة للمسيح ، فلا الملكات ولا السرارى ولا العذارى اللائى بلا عدد يُقارنّ بالكنيسة ، لأنها هى الكاملة المختارة ، العروس التى تفوق الجميع فى جمال الشباب والبتولية ، لذلك يطوبها ويمدحها الجميع ، لأنها رأت وسمعت ما أراد هؤلاء أن يروه ، ولو لفترة وجيزة ، ولم يروه ، وما أرادوا أن يسمعوه ولم يسمعوا ، كما قال الرب لتلاميذه : (ولكن طوبى لعيونكم لأنها تبصر ولآذانكم لانها تسمع ، فإنى الحق أقول لكم أن أنبياء وأبراراً كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا ، وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا) (مت١٣ :١٦) ، لذا يعتبرها الأنبياء مباركة ومطوبة ويمدحونها ، لأن الكنيسة استحقت أن تشارك فى هذه الأشياء التى لم يستطيعوا أن يروها أو يسمعوها لأنه بينما هناك «ستون ملكة ، وثمانون سرية وعذارى بلا عدد» إلا أنه «واحدة هى حمامتى كاملتى» .

ويعلق القديس ميثوديوس «أيستطيع أحد أن يقول الآن شيئاً آخر غير أن العروس هى جسد الرب التى من أجلها أخلى نفسه ونزل الى الأرض وتجسد وسكن فيها ؟» ويرى أنه لذلك دعاها «حمامة *Dove*» لأنها مخلوق وديع وأليف وهى وحدها التى وجدت بلا عيب ولا غضن ، متفوقة على الجميع فى المجد وجمال البر ، لذلك استحقت ان تشترك فى ملكوت الابن الوحيد ، لانها خطبت له واتحدت به ، وفى المزمور (٤٥) نجد أن الملكة تقف عن يمين الملك ، مرتدية زينة الفضيلة الذهبية ، فهى التى اشتهى الملك حسنها ، حملها الكلمة نفسه الى السماء وجعلها عن يمين الله ، لأن ثيابها منسوجة ومطرزة بفضائل عدة : العفة ، الاحتمال ، الايمان ، المحبة ، الصبر ، وفضائل كثيرة صالحة تغطى وتخفى جسد هذا الموت وتزين الانسان بزينة من ذهب .

مجد البتولية

ويستكمل القديس ميثوديوس تأمله فى المزمور ، ويشرح قوله (فى أثرها عذارى صاحباتها مقدمات إليك ، يحضرن بفرح وإبتهاج يدخلن قصر الملك) (مز ٤٥ : ٤) ، فيرى القديس أن الروح هنا يمدح البتولية بوضوح كعروس للرب ، فقد وعد العذارى أن يقتربن فى المكان الثانى بعد العروس من الكلى القدرة بفرح وإبتهاج ، تحرسهن وتحميهن الملائكة ، «لأنه عظيم جداً ومشتهى حقاً هو مجد البتولية ، فبعد الملكة التى يرفعها الرب ويقدمها فى مجد طاهر بلا خطية الى الآب ، يأتى خورس العذارى ويجلس فى مكان تالٍ لذلك الذى للعروس (الكنيسة)» .

ثم يتساءل القديس عن أصل كلمة بتولية ، ولماذا دُعيت هذه الفضيلة الفائقة العظيمة «بتولية *Παρθενια* » ويرى أنه من أصلها يمكننا أن نعرف ما تهدف اليه ، وما هى قوتها ، وما هو ثمرها ونتائجها ، «إذ أن البتولية إلهية *Divine* بتغيير حرف واحد» فبحذف حرف الـ ν الموجود فى كلمة «بتولية *Παρθενια*» تصير الكلمة هكذا « *Παρθεια*» التى تعنى «إلهية *Divine*» لأن هذه الفضيلة وحدها تجعل ذلك الذى يقتنيها والذى يمارس طقوسها شبيه بالله ، «وبدونها يستحيل إقتناء الصلاح العظيم، لأنها بعيدة تماماً عن السرور والحزن ، بأجنحة النفس تصير أقوى وأخف ، وتعتاد على الإنطلاق والطيران دوماً بعيداً عن الأهواء البشرية» .

ويقول القديس أن هؤلاء الذين صعدوا على جناح خفيف الى الحياة السمائية ، يرون فى علوهم وبعدهم ما لا يراه الآخرون ، وينظرون نباتات الأبدية تحمل زهوراً لا يمكن تخيل جمالها ولا يوصف ، ولهذا السبب يرون أن كل هذه الاشياء التى نظن هنا فى العالم أنها نبيلة وعظيمة ، مثل الغنى والمجد والميلاد والزواج ، كلها صغيرة وضئيلة ، ولا يعودون يفكرون فيها ، وإذا كان على أحدهم أن يختار أن يترك جسده للوحوش الضارية أو للنيران او أن يعاقب ، نجدهم مستعدين لا يبالون بالآلام ولا يهابونها ، لذلك مع انهم فى العالم إلا انهم ليسوا من العالم ، بل ارتقوا بفكرهم ورغبة نفوسهم ، الى جماعة الذين فى السماء .

وجناح البتولية يحلق عالياً نحو السماء ، منطلقاً الى وفى المناخ النقى الطاهر ، والى الحياة المماثلة للملائكة ، وهؤلاء الذين استمروا بتوليين أنقياء للسيد المسيح سيحملون جائزة النصرة وسيكللهم السيد المسيح بزهور الأبدية *Flowers of Immortality* ، لأنه ما إن تترك نفوسهم الجسد ، حتى تقابلهم الملائكة بفرح عظيم وتقودهم الى المراعى التى نسمع عنها هنا ، والتى إليها كان اشتياقهم ، وكانوا يتأملون فيها فى خيالهم لأمد طويل .

وعندما يذهبون الى هناك سيرون الأشياء الجميلة العجيبة المجيدة المباركة التى لا يمكن الحديث عنها للبشر ولا يعبر عنها ، فهناك يرون البر نفسه ، والتعقل والمحبة نفسها ، والحق والاعتدال والاحتمال ، وكل زهور ونباتات الحكمة الأخرى ، وكلها مشرقة وساطعة اشراقاً لا نرى منه هنا على الأرض إلا ظلالاً وخيالات كما فى حلم ، لأنه لم ير أحد قط بعينيه عظم أو جمال أو شكل البر نفسه أو الفهم نفسه أو السلام نفسه ، ولكن فيه هو الذى اسمه «أنا الكائن *I AM*» (اهيه) يرى كل هذا كاملاً وواضحاً ، وهناك شجرة للاحتمال نفسه وأخرى للمحبة وأخرى للفهم ، وهناك ايضاً نباتات تنبت وتجمع ثمارها ولا تذبل ولا تفسد أو تموت بل هؤلاء الذين يجمعونها ينمون الى الأبدية وشبه الله ، تماماً مثلما كان آدم ، عندما كان فى الفردوس قبل أن يسقط فى الخطية وتعمى عينيه .

فقد عين الله الانسان لكى يهذب ويعتنى بنباتات الحكمة ، لان عمل آدم الأول كان ان يهتم بثمارها ، وقد رأى أرميا النبى ان هذه الأشياء توجد فى مكان معين بعيداً جداً عن عالمنا ، وفى اشفاقه على هؤلاء الذين سقطوا من الصلاح ، يقول (تعلم أين الفطنة (الحكمة) وأين القوة وأين التعقل ، لكى تعلم أيضاً أين طول الايام والحياة وأين نور العيون والسلام ، من وجد موضعها ومن بلغ الى كنوزها) (باروخ٣:١٤،١٥) ، والعذارى اللاتى دخلن الى كنوز الأشياء الصالحة يجمعن الثمار العاقلة التى للفضائل الصالحة ، وهذه الثمار مشرقة بأنوار متعددة ومتنوعة ، عندئذ تسبح العذارى بهارمونية وتناغم ، معطيات المجد لله .

اقتناء البتولية بالجهاد الروحى

ويحث القديس ميثوديوس العذارى على الجهاد الروحى قائلا : «ايتها العذارى ، لنجاهد من أجل الحياة الطوباوية ومن أجل ملكوت السموات ، ولتتحذن بهؤلاء الذين لهم اشتياق حار لمجد العفة ، ولا يهتمون بأمور هذه الحياة» ..

ويشرح لهن أن العفة لا تضيف الى السعادة قليلاً ، فهى ترفع الجسد عالياً وتجفف طراوته ونداوته وثقله الشبيه بالطين ، ويحذرنا القديس من أن ندع الحزن يغير فرحنا ، بل يجب أن نترك الأحزان التى تأتينا ولا ندنس عقولنا بالمراثى أو النواح ، وليغلب الايمان والرجاء كل هذا ويبدد بنوره كل خيالات الشر التى تتجمع حول قلوبنا ، «لأنه كما أن القمر يضئ ببهاء مالئاً السماء من نوره ، ويصبح الجو كله صافياً واضحاً ، ثم فجأة تندفع سحب الغرب بحسد وتغطى وتخفى نوره لفترة وجيزة ، ولكنها لا تدمره أو تزيله لانها تزال من مكانها بهبة من الريح ، هكذا أنتم أيضاً ، عندما تجعلون نور العفة يسطع فى العالم ، ورغم أنه يجد مقاومة من الضيقات والاعمال والمشغوليات ، لكن لا تيأسوا ولا تتركوا رجائكم ، لأن السحب التى يرسلها العدو الشرير يزيلها روح الله القدوس» .

يتحدث القديس بعد ذلك عن إمرأة سفر الرؤيا (رؤ١٢ :١) ، ويستخدم المنهج الرمزى كعادته ويشرح أن هذه المرأة الملتحفة بالشمس وعلى رأسها إثنى عشر نجماً والقمر تحت قدميها ، وتحمل طفلاً ، هى بالحقيقة «أمنا أيتها العذارى» ، التى دعاها الأنبياء أحياناً أورشليم ، وأحياناً العروس ، وأحياناً جبل صهيون ، وأحياناً الهيكل ، وأحياناً خيمة الله ، لأنها هى القوة التى تُعطى النور للأنبياء ، لذا يصرخ الروح ويقول لها :

(قومى ، استنيرى ، لأنه قد جاء نورك ومجد الرب اشرق عليك ، لأنه ها هى الظلمة تغطى الأرض والظلام الدامس ، أما عليك فيشرق الرب ومجده عليك يُرى ، فتسير الأمم فى نورك ، والملوك فى ضياء اشراقك ، ارفعى عينيك حواليك وانظرى ، قد اجتمعوا كلهم ، جاءوا إليك ، يأتى بنوك من بعيد ويحملون بناتك على الأيدى) (أش٦٠ :١) .

«إنها الكنيسة التى سيأتى إليها أطفالها من كل الأرجاء ، وهى تتهلل وتفرح بنوال النور الذى لا يخبو ، وتلتحف ببهاء الكلمة كثوب ، لأنه اى شئ آخر أعظم كرامة أو

مجد يليق بالملكة أن تتزين به لكى تتقدم كعروس للرب ، بعد أن نالت ثوب النور .

لننظر الى هذه المرأة العجيبة كما ننظر لعذارى مستعدات للـــزواج ، نقيـــات طاهرات كاملات مشرقات بجمال دائم ، لا ينقصهن شئ من بهاء النور ، وعوضاً عن الثوب تلتحف بالنور نفسه ، وعوضاً عن الأحجار الكريمة تتزين رأسها بالنجوم المتلألأة ، وبدلا من الثياب التى نملكها ، تقتنى ثوب النور ، وبدلاً من الذهب والجواهر البراقة ، تقتنى النجوم ، ولكن نجوماً ليست كهذه التى نراها فى السماء المنظورة بل نجوماً أفضل وأكثر تألقاً ولمعاناً ، فهذه النجوم المنظورة ما هى إلا صورة وشبه لتلك النجوم الأعظم والأفضل» .

ويستمر القديس ميثوديوس فى شرحه الانجيلى ويتحدث عن البرية التى هربت اليها المرأة والتى سيعولها فيها الله ألفاً ومئتين وستين يوماً ، ويمدح هذه البرية قائلاً أنها بحق عقيمة من الشر ولا مكان له فيها ، وبلا فساد ويصعب الوصول اليها أو الانتقال منها للناس الكثيرين الذين فى العالم ، ولكنها مثمرة مليئة بالنباتات ومزهرة وسهلة الوصول بالنسبة للقديسين ، وممتلئة من الحكمة ومعطية للحياة ، فهى المسكن الجميل المعد بإتقان لأريتى *Arete* أى الفضيلة ، وفيها تستيقظ الرياح الجنوبية وتهب الرياح الغربية ، وتقطر كل أنواع أطيابها (نش ٤ : ١٦) ، وتمتلئ كل الاشياء من الندى المنعش وتكلل بالنباتات التى لا تذبل التى للحياة الأبدية ... فيها نجمع الزهور وننسج بأصابع مقدسة ثوب الأرجوان وإكليل البتولية المجيد البهى من اجل الملكة ، «لأن عروس الكلمة تتزين بثمار الفضيلة» .

إذاً ، الكنيسة التى تذهب الى البرية ـ وهى مكان خال من الشهوة ـ تتغذى وتتقوى «وتطير نحو السماء على أجنحة البتولية *Winges of Virginity*» التى دعاها الكلمة (أجنحة نسر عظيم) (خر١٧ :٣) بعد أن غلبت الكنيسة الحية القديمة وأزالت من أمام قمرها الكامل كل السحب الشتوية ، لذا يجب علينا أن نقتدى ونتمثل بأمنا وبحسب قدرتنا يجب أن لا ننزعج بسبب آلام أو تغيرات أو ضيقات الحياة ، كى ندخل معها فى فرح وإبتهاج الى العرس ، ممسكين بمصابيحنا ، لذلك ينصحنا القديس ميثوديوس بأن لا نفقد شجاعتنا بسبب هيئة التنين ، بل بشجاعة نستعد للمعركة ونتسلح بخوذة الخلاص وبدرع الصدر وبدرع القدمين ، «لانكم ستوقعون فيه رعباً هائلاً عندما

تهاجمونه بقوة وشجاعة عظيمة ، ومتى رأى مقاوميه متسلحين ومعضدين بالواحد الأقوى ، لن يقاتل ولن يقاوم» .

وينصحنا ميثوديوس بأن نقاوم التنين الضخم بدرعنا ، ولا نستسلم ولا ننزعج من عنفه وغضبه ، لأن مجداً عظيماً سيكـون لنا متى هزمناه وأخذنا السبعة أكاليل التى على رأسه والتى من أجلها يجب أن نجاهد ونصارع ، لأن من يهزم الشيطان ويحطم رؤوسه السبعة سينال سبعة أكاليل الفضيلة ، بعـد ان يكون قد اجتـاز جهـادات وصراعات العفة السبعة العظيمة ، لان الترف وعدم ضبط النفس هما أحد رؤوس التنين ، من يحطمها ينال اكليل الاعتدال ، الجبن والضعف رأس آخر ، من يحطمه ينال إكليل الشهادة ، وهكذا ...

ومن سفر الرؤيا ينتقل القديس الى سفر اللاويين ليتحدث عن عيد المظال ، وكيف أن الله عندما وضع لاسرائيل الحقيقى الطقوس القانونية لهذا العيد ، أوضح لهم ، فى سفر اللاويين ، كيف يحفظون العيد ويكرمونه ، قائلاً لهم أنه يجب على كل أحد ، قبل وفوق كل شيء ، أن يزين خيمته بالعفة ... «وسأذكر كلمات الكتاب المقدس نفسه لكى يتضح منها كم مرضية لله ومقبولة عنده هى البتولية» :

(أما اليوم الخامس عشر من الشهر السابع ، ففيه عندما تجمعون غلة الارض تعيدون عيداً للرب سبعة ايام ، فى اليوم الأول عطلة وفى اليوم الثامن عطلة ، وتأخذون لأنفسكم فى اليوم الاول ثمر أشجار بهجة وسعف النخل وأغصان اشجار غبياء وصفصاف الوادى و«شجرة العفة» (*) ، وتفرحـون أمـام الرب إلهكم سبعة أيـام ، تعيدونه عيداً للرب سبعة أيـام فى السنة فريضة دهرية فى أجيالكم ، فى الشـهر السابع تعيدونه ، فى مظال تسكنون سبعـة أيام ، كل الوطنيـين فى اسـرائيل يسكنـون فى المظال ، لكى تعلم أجيـالكم أنى فى مظال أسكنت بنى اسرائيل لما أخرجتـهم من أرض مصر أنا الرب إلهكم) (لا٢٣: ٣٩-٤٢) .

(*) لم ترد فى نص الكتاب المقدس لكن القديس ميثوديوس هو الذى أضافها .

فكـل من يشتـاق الى حضور عيد المظال ليُحصى مع القديسين ، عليه أولاً أن يجاهد ويحصل على ثمار الايمان الصالحة المبهجة ثم سعف النخل الذى هو التأمل الصاحى الواعى فى الكتاب المقدس ودراسته ، وبعد ذلك أغصان المحبة المنتشرة الكثيفة الأوراق التى يأمرنا الله أن نأخذها بعد أغصان النخيل ، مشبهاً المحبة بأغصان كثيفة لانها ملآنة كلها وقريبة ومثمرة جداً وليس فيها شئ عار أو فارغ بل كلها ملآن : الأغصان والجذع ، وبالمثل لا يوجد فى المحبة أى شيء فارغ أو عقيم لأنه «وإن كانت لى نبوة وأعلم جميع الاسرار وكل علم ، وان كان لى كل الايمان حتى أنقـل الجبال ولكن ليس لى محبة فلست شيئاً ، وان أطعمت كل أموالى وإن سلمت جسدى حتى احترق ولكن ليس لى محبة فلا انتفع شيئاً» (١ كو١٣ : ٢) لذا المحبة هى أكبر الأشجار وأكثرها ثمراً .

ويتساءل القديس : «ما الذى يريدنا أن نفعله بعد هذا ؟» ويجيب بأنه يريد أغصان الصفصاف التى يرمز بها الى البر لان النبى يقول عن البار «ينبت مثل الصفصاف على مجارى المياه» (أش ٤٤ : ٤) . وأخيراً ليتوج الكل ، أوصى بأن يحضر غصن من شـجرة الـ *Agnos* (*) لتزين الخيمة لأنها هى شجرة العفة ...

«ليذهـب العابـثون الآن الذين ، بسبب حبهـم للشـهوات والملذات ، رفضوا العفة ، كيف سيدخلون الى العيد ، هؤلاء الذين لم يزينوا خيمتهم بأغصان العفة ، تلك الشجرة المباركة التى صنعها الله ؟» ويدعو ميثوديوس العذارى قائلاً : «تعالوا ايتها العذارى لنتأمل فى الكتاب المقدس ووصاياه ، لنرى كيف أن الكلمة الالهى جعل العفة تاج هذه الفضائل التى ذكرناها ، ونعلم كم هى لائقة ومرغوبة من اجل القيامة ، وكيف أنه بدونها لا يستطيع أحد أن ينال المواعيد ، وكما نقتنى نحن الذين نذرنا بتوليتنا هذه العفة ، كذلك يقتنيها أيضاً هؤلاء الذين يعيشون مع زوجاتهم » .

وينصح القديس هؤلاء الذين يحبـون الجهـاد ، الأقـوياء الذهن ، أن يكرموا العفة كشئ مجيد جداً ، كثير الفائدة والنفـع ، لأن كل من يوجـد فى الحياة الأبدية غير

(*) لم ترد فى نص الكتاب المقدس لكن القديس ميثوديوس هو الذى أضافها .

متزين بأغصان العفة لن ينال الراحة لأنه لم يطع وصية الله بحسب الناموس ولم يدخل أرض الموعد ، لانه لم يحتفل مسبقاً بعيد المظال ، إذ لن يدخل الأرض المقدسة إلا الذين احتفلوا بعيد المظال .

بعد أن نصح القديس هؤلاء الذين يحبون الجهاد بأن يكرموا العفة ، يبدأ هو نفسه فى مدحـها ، لأنه لا شئ يعين الانسـان فى طريق الكمال مثل العفة ، لأنها وحدها تجعل النفس محكومة مضبوطة وتحفظها حرة نقية من العالم ، لذا عندما علمنا السيد المسيح ان نقتنيها وأظهر لنا جمالها الفائق ، دُمرت مملكة العدو الشرير ، الذى قبل الزمان أسر واستبعد كل جنس الانسان ، لذلك لم يرضى القدماء الله ، لأن الناموس وحده لم يكن كافياً لتحرير الجنس البشرى من الفساد ، حتى اشرقت البتولية بعد الناموس وحُكمت البشرية بوصايا الله ، وما كان البشر الأولون ليقاتلوا ، لأن الناموس لم يكن كافياً لخلاصهم ، ولكن منذ أن تجسد المسيح وتزين جسده بالبتولية ، تحطم الطاغية الهمجى الذى هو سيد الخطية ، فساد السلام والايمان والغلبة .

يرى القديس ميثوديوس أن شجرة العليقة تمدح البتولية والعفة ، لأن العليقة وشجرة الـ *Agnos* هـما نفس الشجرة ، لكن البعض يسمونـها عليقة والبعض الآخـر *Agnos* وربما كان ذلك لأن كليهما مرتبط بالبتولية التى دعيت عليقة و *Agnos* :

عُليق : بسبب قوتها وثباتها أمام الشهوات .

Agnos : بسبب عفتها الدائمة .

لذلك يذكر الكتاب المقدس أن إيليا النبى وهو يهرب من وجه المرأة إيزابل (١مل١٩ :٤) أتى أولاً تحت شجرة العليق ، وهناك أعطى قوة وطعاماً ، وهذا يرمز الى أن ذاك الذى يهرب من الشهوات ، من امرأة ، تكون له شجرة العفة ملجأ وظل .

ويرى القديس أن التدريب الذى يعد النفس منذ الطفولة للمجد البهيج جداً والمجيد ، ويزرع فى النفس رجاءً كبيراً ، هو العفة التى تهب الأبدية لأجسادنا ، وتجعل البشر يفضلونها بإرادتهم ويمدحونها فوق كل الأشياء الأخرى ... والبعض عن طريقـها يُخطبون للكلمة ويحيون فى بتولية .

اطوار الحياة الروحية وبلوغ الفضيلة

هنا يبدأ القديس ميثوديوس فى الحديث على لسان أريتى (التى يعنى اسمها الفضيلة) فلأنها كبيرة العذارى ومضيفتهن ، وهى التى تمثل الفضيلة ، لذلك على لسانها يتحدث القديس عن أعلى الأمور الروحية وعن الحروب الى تهاجم المتقدمين ، فبعد أن تحدث عن الأمور التي تخص المبتدئين والمجاهدين ، يبدأ فى الحديث الى المتقدمين ويشرح أن كل من يعلم أن العفة يجب أن تُختار وأن تكون الأولى بين جهادات الانسان حسناً ينصح ، لكن بينما يظن كثيرون أنهم يمجدونها ويحيونها ، قليلون هم الذين يمجدونها ويكرمونها حقاً ، لأنه ليس ذلك الذى درس كيف يستعبد جسده وشهوات المسرات العالمية هو الذى يحيا العفة ، وهو غير متيقظ لباقى الشهوات ، بل يهينها بالشهوات الرديئة ، مستبدلاً شهوات بشهوات ، ولا يحيا العفة أيضاً ذاك الذى قاوم بقوة شهوات الحواس ، ولكنه إنتفخ وتكبر بالمجد الباطل ، ولهذا يستطيع أن يقمع سهام الشهوة المحرقة ويجعل كل الشهوات كلا شئ ، ومع ذلك لا يستطيع أن يتعلم أن يمجد العفة ويكرمها ، لأنه يهينها بسبب العجب والغرور ، منظفاً خارج الكأس والصحفة التى هى اللحم والجسد ، بينما يجرح القلب بالغرور والعجب الباطل ، وكذلك لا يكرم البتولية من يعجب بغناه وثرواته ، بل هو يهينها أكثر من الكل ، مفضلا أن يربح القليل عن تلك التى لا يضاهيها شئ من الاشياء التى فى هذه الحياة ، لأن كل الغنى والذهب هو (قليل من الرمل) (حكمة ٧ : ٩) ، ولا يكرم العفة أيضاً من يحب نفسه أكثر من اللازم ويفكر بلهفة فيما هو نافع له هو فقط متجاهلاً احتياجات أقربائه ، بل هو يهينها ، لأن ذاك الذى ليس فيه محبة ورحمة وشفقة هو أقل بكثير من هؤلاء الذين يحيون العفة بوقار ، ومن غير الصواب أنه بينما نحن نحفظ البتولية من ناحية ، ندنس النفس بأفعال الشر وبالشهوات من الناحية الأخرى ، أو أن ننذر النقاوة والعفة ، ثم ندنسها بالانغماس فى الرذيلة ، أو أن يقول الانسان أن أشياء هذا العالم لا تعنيه فى شئ ولا قيمة لها فى نظره ، بينما هو يسعى ليحصل عليها وينالها ، إذ أن الأعضاء كلها ينبغى ان تحفظ طاهرة من كل فساد ، ليس فقط الأعضاء الزيجية ، بل أيضاً باقى الأعضاء التى تحاربها الشهوات ، لأنه من العبث والسخف أن نحفظ أعضاء التكاثر

والإنجاب طاهرة ولا نحفظ اللسان ، أو أن نحفظ اللسان ولا نحفظ العينين والأذنين واليدين ، أو ان نحفظ هذه كلها طاهرة ولا نحفظ الذهن ، مدنسين إياه بالعجب الباطل والغرور والغضب .

ويعلن القديس ميثوديوس أنه من الضرورى لذاك الذى عزم على عيش حياة العفة ، أن يحفظ كل أعضائه وحواسه نقية طاهرة ، كما هو الحال مع الألواح الخشبية التى تتكون منها السفينة ، والتى يجتهد صناع السفن أن يثبتوها بإتقان بجوار بعضها البعض لئلا بسبب أى ثغرة ينفتح طريق للخطية ويتسرب داخل الذهن ، إذ أن الجهادات العظيمة تتعرض لحروب كثيرة ، فالشر يقاوم ذلك الذى هو بحق صالح ، لذلك كثيرون من الذين جاهدوا ضد الشهوات الرديئة ، سقطوا بسبب إهمالهم لواجبات تحتاج الى يقظة وصحو ، فجلبوا اللوم على المجاهدين فى الطريق الصحيح .

تسبحة تكلة

فى نهاية الوليمة تطلب أريتى من العذارى أن يقدمن المجد والشكر لله ، وتتولى العذراء **تكلة** (على اسم القديسة تكلة العظيمة تلميذة بولس الرسول) قيادة **الخورس** ، فسبحن هذه التسبحة :

تكلة : من فوق أيتها العذارى ، أتى صوت يوقظ الميت ، يأمرنا جميعاً أن نقابل العريس فى ثياب بيض بمصابيح متجهة نحو الشرق ، قومن قبل أن يدخل الملك من الأبواب .

الخورس : إنى أحفظ نفسى طاهرة نقية لك أيها العريس ، وامسك بمصباح مضئ واذهب لأقابلك ...

تكلة : لقد هربت من سعادة الفانيين المملوئة بالحزن ، وتركت مسرات الحياة المترفة ومحبتها ، واشتاق الى ان أحتمى تحت ذراعيك المعطيين للحياة ، وأن أرى جمالك الى الابد أيها المبارك .

الخورس : إنى أحفظ نفسى طاهرة نقية لك أيها العريس ، وامسك بمصباح مضئ واذهب لأقابلك ...

تكلة : بعد ان تركت الزواج وسراير الفانيين ، وبيتى الذهبى من اجلك ايها الملك ، أتيت اليك فى ثياب نقية كى ادخل معك الى عرسك البهيج .

الخورس : إنى أحفظ نفسى طاهرة نقية لك أيها العريس ، وامسك بمصباح مضئ واذهب لأقابلك ...

تكلة : بعد ان هربت ، أيها الإله المبارك ، من خداعات الحية الكثيرة المغرية ، ومن ألسنة النار ومن هجمات الوحوش المفترسة التى تدمر كل ما هو زائل ، انتظرك من علو السماء .

الخورس : إنى أحفظ نفسى طاهرة نقية لك أيها العريس ، وامسك بمصباح مضئ واذهب لأقابلك ...

تكلة : أيها الرب ، لقد نسيت بلدى بشهوة نعمتك ، ونسيت ايضا محبة العذارى زميلاتى ، ونسيت الرغبة فى أن أكون أماً وأن تكون لى أسرة ، لأنك أنت أيها المسيح كل شئ لى .

الخورس : إنى أحفظ نفسى طاهرة نقية لك أيها العريس ، وامسك بمصباح مضئ واذهب لأقابلك ...

تكلة : أنت معطى الحياة ايها المسيح ، المجد لك ايها النور الذى لا ينطفئ ، اقبل تسبيحنا هذا ، إن جماعة العذارى يتضرعن إليك أيها الزهرة الكاملة ، أيها المحبة والفرح والتعقل والحكمة ، أيها الكلمة .

الخورس : إنى أحفظ نفسى طاهرة نقية لك أيها العريس ، وامسك بمصباح مضئ واذهب لأقابلك ...

تكلة : بأبواب مفتوحة أيتها الملكة المزينة بجمال ، اقبلينا فى حجراتك ، ايتها العروس

التى بلا عيب المنتصرة بمجد والمتنفسة جمالاً ، نحن الواقفات أمام المسيح محتفلين بعرسك الفرح البهيج ايتها العفيفة الشابة .

الخورس : إنى أحفظ نفسى طاهرة نقية لك أيها العريس ، وامسك بمصباح مضئ واذهب لأقابلك ...

تكلة : العذارى واقفات بدون زيت ، بدموع مرة وأنين عميق وعويل وحزن عظيم لأن مصابيحهن انطفأت فلم يدخلن الى عرس الفرح فى الوقت المعين .

الخورس : إنى أحفظ نفسى طاهرة نقية لك أيها العريس ، وامسك بمصباح مضئ واذهب لأقابلك ...

تكلة : لأنهن ابتعدن عن الطريق المقدس للحياة ، وأهملن ـ هؤلاء البائسات ـ ان يعدوا القدر الكافى من الزيت من أجل طريق الحياة ، لذا يحملن مصابيح منطفأ نورها وينوحن فى أعماق ذهنهن .

الخورس : إنى أحفظ نفسى طاهرة نقية لك أيها العريس ، وامسك بمصباح مضئ واذهب لأقابلك ...

تكلة : هنا الكؤوس ملئ من الرحيق الحلو ، لنشرب ايتها العذارى ، لأنه مشروب سماوى ، جعله العريس لهؤلاء المدعوين للعرس .

الخورس : إنى أحفظ نفسى طاهرة نقية لك أيها العريس ، وامسك بمصباح مضئ واذهب لأقابلك ...

تكلة : هابيل ، الذى كان رمزاً واضحاً لموتك أيها المبارك ، بينما كان دمه منسكب وعيناه مرفوعتين الى السماء ، قال : أنا المذبوح بقسوة بيد أخى أطلب اليك أيها الكلمة ان تقبلنى .

الخورس : إنى أحفظ نفسى طاهرة نقية لك أيها العريس ، وامسك بمصباح مضئ واذهب لأقابلك ...

تكلة : ابنك الشجاع يوسف ، ايها الكلمة ، ربح الجائزة العظيمة التى للعفة عندما ارادت امرأة مشتعلة بنيران الشهوة ان تجذبه الى مضجع دنس ، لكنه لم يلتفت اليها بل هرب عارياً وهو يصرخ قائلا :

الخورس : إنى أحفظ نفسى طاهرة نقية لك أيها العريس ، وامسك بمصباح مضئ واذهب لأقابلك ...

تكلة : يفتاح قدم ابنته العذراء ذبيحة لله مثل حمل ، وإذ صورت مسبقاً مثال جسدك ايها المبارك ، صرخت بشجاعة :

الخورس : إنى أحفظ نفسى طاهرة نقية لك أيها العريس ، وامسك بمصباح مضئ واذهب لأقابلك ...

تكلة : يهوديت الشجاعة ، بحيلة ماهرة قطعت رأس جيش الغرباء بعد أن أغرته بجمالها لكن دون ان تدنس حتى أطراف جسدها ، وبصيحة المنتصر قالت :

الخورس : إنى أحفظ نفسى طاهرة نقية لك أيها العريس ، وامسك بمصباح مضئ واذهب لأقابلك ...

تكلة : عندما رأى القاضيان الجمال العظيم الذى لسوسنة أتيا إليها وقالا : يا سيدتى نحن نريد ان نضطجع معك سراً لكنها بإرتعاد صرخت :

الخورس : إنى أحفظ نفسى طاهرة نقية لك أيها العريس ، وامسك بمصباح مضئ واذهب لأقابلك ...

تكلة : إنى أفضل جدا ان أموت عن أسلم نفسى لك ايها المجنون بالنساء ، وبذا أعاقب بالعدل الأبدى الذى لله فى عقاب نارى ، خلصنى الآن ايها المسيح من هذه الشرور .

الخورس : إنى أحفظ نفسى طاهرة نقية لك أيها العريس ، وامسك بمصباح مضئ واذهب لأقابلك ...

تكلة : سابقك (يوحنا المعمدان) كان يغسل الجموع بمياة طاهرة جارية ، ولكن رجل شرير ظالم قتله بسب عفته ، فسقى التراب من دمه وصرخ لك ايها المبارك :

الخورس : إنى أحفظ نفسى طاهرة نقية لك أيها العريس ، وامسك بمصباح مضئ واذهب لأقابلك ...

تكلة : أمك العذراء حملتك فى رحمها بدون زرع بشر بلا دنس ، وبذا صارت موضع للشكوك ، وعندما حملتك قالت :

الخورس : إنى أحفظ نفسى طاهرة نقية لك أيها العريس ، وامسك بمصباح مضئ واذهب لأقابلك ...

تكلة : جموع الملائكة ، وهى راغبة فى رؤية عرسك ايها المبارك ، تنزل من السماء بالقدر الذى تدعوه ايها الملك ، وهى حاملة عطايا عظيمة لك ، وتأتى فى ثياب طاهرة .

الخورس : إنى أحفظ نفسى طاهرة نقية لك أيها العريس ، وامسك بمصباح مضئ واذهب لأقابلك ...

تكلة : بتسابيح نمجدك ، يا عروس الله المباركة ، نحن خدام العروس ، ايتها الكنيسة العذراء الطاهرة ، البيضاء كالثلج ، السوداء الشعر ، العفيفة ، النقية ، المحبوبة .

الخورس : إنى أحفظ نفسى طاهرة نقية لك أيها العريس ، وامسك بمصباح مضئ واذهب لأقابلك ...

تكلة : لقد هرب الفساد وآلام الأمراض الموجعة ، لقد أُزيل الموت وانتهى الفساد ، لأن نعمة المسيح الله قد سطعت مرة أخرى فجأة فوق الفانيين .

الخورس : إنى أحفظ نفسى طاهرة نقية لك أيها العريس ، وامسك بمصباح مضئ واذهب لأقابلك ...

تكلة : جماعة العذارى الآن تسبح تسبحة جديدة وتخدمك وتتطلع نحو السماء أيتها الملكة ، وكلهن مكللات بالسوسن الأبيض ويحملن فى أياديهن أنوار بهية .

الخورس : إنى احفظ نفسى طاهرة نقية لك أيها العريس ، وامسك بمصباح مضئ واذهب لأقابلك ...

تكلة : أيها المبارك ، يا من جلست على كراسى السماء الطاهرة منذ الأزل ، يا من تحكم كل الاشياء بقوتك الأبدية ، أيها الآب ، مع ابنك ، أقبلنا داخل أبواب الحياة .

الخورس : إنى احفظ نفسى طاهرة نقية لك أيها العريس ، وامسك بمصباح مضئ واذهب لأقابلك ...

الفصل الثانى

القديس كبريانوس

«ثياب العذارى»

ON THE DRESS OF VIRGINS

يستهل القديس كبريانوس كتابه بالحديث عن التلمذة شارحاً دوافعه فى الكتابة ، فالتلمذة هى حارسة الرجاء ورابطة الإيمان ، المرشدة لطريق الخلاص ، معلمة الفضيلة ، وبها نثبت فى المسيح ونحيا دوماً لله ، وننال المواعيد السمائية والجعالات الإلهية... إتباعها نافع ومفيد وإهمالها مهلك ومميت ، فالروح القدس يقول فى المزامير: «وللشرير قال الله مالك تحدث بفرائضى وتحمل عهدى على فمك ، وأنت قد أبغضت التأديب وألقيت كلامى خلفك» (مز٥٠: ١٦، ١٧) وكذلك يحذرنا سليمان: «يا ابنى لا تحتقر تأديب الرب ولا تكره توبيخه لأن الذى يحبه الرب يؤدبه» (أم٣: ١١) لكن إذا كان الله يوبخ من يحبه لأجل تقويمه وتهذيبه ، فإن الإخوة ايضاً ـ وخاصة الكهنة ـ لا يبغضون من يوبخونه بل يحبونه ، إنما هم يوبخونه لأجل تهذيبه لأن الله قد تنبأ بأرميا قبلاً عندما قال: «واعطيكم رعاة حسب قلبى فيرعونكم بالمعرفة والفهم» (أر٣: ١٥) .

ويستطرد أسقف قرطاجنة شارحاً أنه إذا كانت التلمذة ممتدحة كثيراً وفى كل موضع فى الكتاب المقدس ، فليس هناك أى شئ آخر يليق بنا أن نشتهيه ونريده ونتمسك به عدا أن نؤسس بيوتنا على الصخر غير متزعزعة من عواصف وزوابع العالم ، كى نصل بالتعاليم الإلهية إلى جعالات الله .

ثم يبدأ الكاتب فى تناول موضوع كتابه بعد هذه المقدمة ، فيذكّر قارئه ـ أو بالأحرى قارئته ـ أن أعضاءنا عندما تتطهر من دنس المرض القديم بتقديس حميم الحياة أى المعمودية ، تصير هياكل لله ، فيجب ألا تهان أو تدنس ، وعلينا نحن عباد وكهنة هذه الهياكل أن نطيع المسيح الذى صرنا خاصته كما يقول بولس الرسول:

«إنكم لستم لأنفسكم ، لأنكم قد أُشتريتم بثمن فمجدوا الله فى أجسادكم» (١كو٦ :١٩) .

ويحثنا القديس أن نمجد الله فى جسد طاهر عفيف بطاعة كاملة ، فإذ قد فدانا المسيح ، لابد أن نطيعه بكل طاعة الخدمة ، حتى لا يدخل أى شئ دنس أو غير طاهر داخل هيكل الله ، لئلا يهان فيهجر الهيكل الذى سكنه .

وكلمات الرب التى تشفينا وتعلمنا وتحذرنا هى «ها أنت قد برأت فلا تخطئ ايضاً لئلا يكون لك أشر» (يو٥ :١٤) فهو يهب حياة ، يهب شفاء ، لكنه يتوعد بشدة من يستعبد ثانية من نفس الخطايا التى شفاه هو منها ، ويقول كبريانوس: «ليهتم الرجال والنساء ، الأولاد والبنات ، كل جنس وكل سن ، أن يحفظوا ما نالوه من تعطف الرب طاهراً نقياً بخوف ورعدة» .

ويوجه كبريانوس حديثه للعذارى إذ بقدر ما أن مجدهن أعظم ، بقدر ما يقتضى إهتماماً أكثر ، ويمتدحهن قائلاً أنهن زهرة البذرة الكنسية ، نعمة وزينة المواهب الروحية ، العمل التام غير الفاسد الذى للمدح والكرامة ، صورة الله ، أكثر أعضاء قطيع المسيح بهاءً ، وبهن تفرح الأم الكنيسة ، ومن هنا كان إهتمام كبريانوس أن يحثهن بمحبة أكثر مما بقوة ، فهو لا يوبخهن بل يخشى عليهن من حروب الشيطان وتجاربه .

وهو ليس إهتماماً باطلاً ولا خوفاً فارغاً أن تأخذ العذارى نصائح لأجل طريق الخلاص ، حتى يستطعن ـ بعد أن كرسن أنفسهن للمسيح وابتعدن عن كل شهوة جسدانية ونذرن أنفسهن لله فى الجسد كما فى الروح ـ أن يكملن عملهن ذا الجعالة العظيمة ، ولا يسعين لأن يُسر أى أحد بهن إلا ربهن الذى منه ينتظرن جعالة البتولية ، كما قال هو نفسه «ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أُعطى لهم ، لأنه يوجد خصيان وُلدوا هكذا من بطون أمهاتهم ، ويوجد خصيان خصاهم الناس ، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات» (مت١٩ :١١) .

ويرى كبريانوس أن كلمات ملاك سفر الرؤيا تعلن عظمة البتولية وتكرز به «هؤلاء الذين لم يتنجسوا مع النساء لأنهم أطهار ، هؤلاء هم الذين يتبعون الحمل حيثما

ذهب» (رؤ١٤ :٤) ويتساءل «لكن إذا كانت العفة تتبع المسيح ، والبتولية جعالتها الملكوت ، فما شأنها إذاً بالثوب الأرضى أو بالزينة التى بها بينما يجتهدن لإرضاء الرجال ، يسيئن إلى الله؟» رغم أن الرسول بولس يقول «فلو كنت بعد أرضى الناس لم أكن عبداً للمسيح» (غلا١ :١٠) .

لكن العفة لا تتمثل فقط فى طهارة الجسد ، بل وايضاً فى الحشمة واللياقة ، وكذلك فى عفة الثياب والزينة كى تكون غير المتزوجة ـ بحسب كلمات الرسول ـ طاهرة جسداً وروحاً ، ويعلمنا بولس الرسول قائلاً «غير المتزوج يهتم فى ما للرب ، كيف يرضى الرب ، وأما المتزوج فيهتم فى ما للعالم ، كيف يرضى إمرأته ، إن بين الزوجة والعذراء فرقاً ، غير المتزوجة تهتم فى ما للرب لتكون مقدسة جسداً وروحاً» (١كو ٧ :٣٢) فيجب ألا يشك أحد عندما يرى عذراء إذا كانت عذراء أم لا ، بل يجب أن يظهر الكمال متساوياً فى جميع الأمور ، ويجب ألا يُشكك ثوب العذراء فى صلاح ذهنها ، ويتساءل كاتبنا «لماذا تتمشى متزينة؟ لماذا تسير بشعر مزين مصفف كما لو كان لها زوج أو تطلب واحداً؟» .

ويؤكد القديس كبريانوس أن منْ ليس لهن أزواج يجب أن يحفظن أنفسهن طاهرات عفيفات ، ليس فقط فى الجسد بل وايضاً فى الروح ، لأنه ليس من الصواب أن تصفف العذراء شعرها لأجل مظهر جمالها ، أو تتباهى بجمالها الجسدى ، فى حين أنه ليس لديها جهاد أعظم من جهادها ضد جسدها ، وليس لديها صراع أصعب من هزيمة وإخضاع الجسد .

ورغم أن بولس الرسول يعلن بصوت عال «وأما من جهتى فحاشا لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به قد صُلب العالم لى وأنا للعالم» (غلا٦ :١٤) تفتخر عذراء فى الكنيسة بجمالها الجسدى ومظهرها!! ويضيف بولس قائلاً «ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات» (غلا٥ :٢٤) ويتعجب كبريانوس كيف أن «منْ تنذر أن تجحد شهوات وأهواء الجسد توجد وسط هذه الأمور عينها التى نذرت أن تجحدها!!» .

إن الرب يقول لأشعياء «كل جسد عشب وكل جماله كزهر الحقل ، يبس العشب

ذبل الزهر لأن نفخة الرب هبت عليه ، حقاً الشعب عشب ويبس العشب ذبل الزهر وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد» (أش٤٠: ٦ـ٨) ومن غير اللائق بأى مسيحى ، وبالأخص بالعذارى ، أن ينظر أو يهتم بأى مجد أو كرامة للجسد ، بل فقط يطلب ويشتهى كلمة الله ، حتى ينال العطايا التى تدوم إلى الأبد .

ويتحدث كبريانوس عن العذراى اللائى يتعذبن ويتألمن لأجل الاعتراف بالاسم الحسن وكيف أنهن أقوى من العذابات ، عندما يجتزن النيران ، الصلبان ، السيف ، الحيوانات المفترسة ، حتى يكللن ، ويصف عذاباتهن بأنها أفضل زينة لجسدهن ، وأنها «جواهر الجسد الثمينة» .

ثم يتناول أسقف قرطاجنة الشهيد موضوع النساء الثريات اللائى يفرحن باستخدام غناهن ، موضحاً لهن معنى الغنى الحقيقى وكيفية استخدامه ، فالغنية هى الغنية فى الله ، والثرية هى الثرية فى المسيح ، فهذه هى البركات الروحية الإلهية السماوية التى تقودنا إلى الله والتى تدوم معنا فى ملكية دائمة ، أما سائر الأشياء الأرضية التى يقتنيها الإنسان فى هذا العالم ، والتى ستبقى هنا فى هذا العالم ، فسوف تدان كما سيدان العالم نفسه الذى جحدنا قواته ومسراته عندما قدمنا قدوماً مباركاً إلى الله ، ويوحنا الحبيب البتول يعلمنا ويحثنا وهو يشهد بصوت سمائى «لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب ، لأن كل ما فى العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ، ليس من الآب بل من العالم ، والعالم يمضى وشهوته ، وأما الذى يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد» (١يو٢: ١٥-١٧) .

وبينما هن يدعين أنفسهن ثريات ، ينصحهن بولس الرسول بالاعتدال فى ثيابهن وزينتهن قائلاً: «يزين ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل لا بضفائر أو ذهب أو لآلئ أو ملابس كثيرة الثمن ، بل كما يليق بنساء متعاهدات بتقوى الله بأعمال صالحة» (١تيمو٢: ٩، ١٠) وايضاً بطرس الرسول يعلم: «لا تكن زينتكن الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلى بالذهب ولبس الثياب ، بل إنسان القلب الخفى» (١بط٣: ٣، ٤)... لكن إذا كانت هذه الآيات تحذر النساء المتزوجات اللائى ينتحلن عذراً لأجل ثيابهن بإرجاع ذلك إلى أزواجهن ، وتنبهّن إلى ضرورة الخضوع لتعليم الكنيسة ، فكم بالأحرى جداً يليق بالعذراء أن تفعل ذلك ، وهى التى ليس لها عذر لتتزين ، والتى لا

يمكن ايضاً أن يُعزى خطأها إلى أى شخص آخر ، بل تظل هى نفسها المخطأة .

ويحدث كبريانوس هؤلاء الثريات مرسياً قاعدة هامة إذ يقول: «**ليس كل ما يمكن أن يُفعل يجب أن يُفعل**» ولا يجب أن ترقى الشهوات الناتجة عن افتخار وكبرياء العالم فوق كرامة ومجد البتولية لأنه مكتوب «كل الأشياء تحل لى لكن ليس كل الأشياء توافق ، كل الأشياء تحل لى ولكن ليس كل الأشياء تبنى» (١كو١٠:٢٣) .

ويتناول كاتبنا فى حديثه هؤلاء اللاتى يصففن شعورهن بإهتمام زائد ، ويسرن كما لو كن يرغبن فى جذب إنتباه الآخرين ، جاذبات عيون الشباب الصغار وراءهن ، مشعلات لهيب الشهوات ، إذ رغم أنهن أنفسهن لا يهلكن ، إلا أنهن يتسببن فى هلاك الآخرين ، ويقدمن أنفسهن كسيف أو سم للناظر إليهن ، ولا يمكنهن أن ينتحلن عذراً بحجة أنهن عفيفات ونقيات فى الذهن ، لأن ثوبهن المخجل وزينتهن المفرطة تدينهن ، ولا يمكن أن يُعتبرن ضمن عذارى وعرائس المسيح...

هن يقلن أنهن غنيات وثريات ، لكن لا يليق بالعذراء أن تفتخر بغناها لأن الرسول بولس يقول« «الذين يشترون كأنهم لا يملكون ، والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه لأن هيئة هذا العالم تزول» (١كو٧:٣٠-٣١) وكذلك بطرس الذى أوصاه الرب أن يرعى خرافه يقول أن ليس له ذهب ولا فضة لكن يقول أنه غنى فى إيمانه وفضيلته ، وبهما صنع أعمالاً عديدة وعجائب...

وينصحهن القديس كبريانوس إذا كن يريدن أن يستخدمن ثرواتهن ، أن يستخدمنها لأجل أعمال الخلاص ، ولأجل الأهداف الصالحة ، فيستخدمنها لأجل الأمور التى أوصى بها الله... ويعلمهن قائلاً: «لتدعن الفقير يشعر أنكن غنيات
ولتدعن المحتاج يشعر أنكن ثريات
اقرضن مقتنياتكم لله
قدمن طعاماً للمسيح» .

ويجب أن يحركن الرب بصلوات الكثيرين كى يهبهن أن يكملن مجد البتولية وأن يبلغن إلى مجد الرب ، أى بعطاياهن للفقراء سوف يصلون لأجلهن وإستجابة لهذه الصلوات سيهبهن الله مجد البتولية .

ويحثهن المعلم العظيم أن يخبأن كنزهن حيث لا ينقب سارق وحيث لا يفسد صدأ ، لأنهن إذا ظنن أن الغنى الذى منحهن إياه الله إنما هو لأجل أن يستمتعن به يخطئن ضد الله ، بل يجب أن ينتبهن إلى خلاصهن ، لأن الله أعطى ايضاً صوتاً ، ومع ذلك لا يُعد هذا سبباً لأن نغنى الأغانى الباطلة الغير لائقة .

كذلك شاء الله أن يكون الحديد لأجل خير الأرض ، لكن هذا لا يعنى أنه لابد أن تُرتكب الجرائم (بالأسلحة الحديدية) ويسأل كبريانوس: «هل لأن الله عين أن يوجد البخور والخمر والماء ، لابد أن تُقدم ذبائح للأوثان؟ أو هل لأن قطيع الماشية كبير جداً فى حقلكن ، يجب عليكن أن تقدمن محرقات وتقدمات للألهة؟» .

وهكذا الغنى هو تجربة إلا إذا اُستخدم فى خدمة أهداف صالحة ، لذلك يجب على كل إنسان ـ بحسب مقدار غناه ـ أن يفتدى تعدياته بعطاياه لا أن يزيدها (وقد قدم كبريانوس نفس هذا الفكر بإستفاضة فى كتابه الأعمال والصدقات ، حيث شرح أن الصدقة تغفر الخطية) (*) .

إن سمات الزينة والثياب وإغراءات الجمال لا تليق إلا بالزانيات وغير العفيفات ، وليس ثوباً ـ بصفة عامة ـ أثمن وأغلى من ثياب هؤلاء اللواتى عفتهن رخيصة ، ولذلك نقرأ فى الكتاب المقدس ـ الذى به أراد الله أن يعلمنا ويهذبنا ـ وصفاً للمدينة الزانية أنها جميلة ورائعة للغاية فى المنظر بسبب زينتها ، ولكنها ستهلك بسبب هذه الزينة عينها: «ثم جاء واحد من السبعة الملائكة الذين معهم السبعة الجامات وتكلم معى قائلاً لى هلم فأريك دينونة الزانية العظيمة الجالسة على المياه الكثيرة التى زنى معها ملوك الأرض وسكر سكان الأرض من خمر زناها ، فمضى بى الروح إلى برية فرأيت امرأة جالسة على وحش قرمزى مملوء أسماء تجديف له سبعة رؤوس وعشرة قرون والمرأة كانت متسربلة بأرجوان وقرمز ومتحلية بذهب وحجارة كريمة ولؤلؤ ومعها كأس من ذهب فى يدها مملوء رجاسات ونجاسات زناها» (رؤ١٧ :١) ويؤكد كبريانوس ضرورة أن تبتعد العذارى العفيفات النقيات عن ثياب غير العفيفات وعن طرقهن ، وعن زينة الزانيات .

---

*) انظر كتابنا «القديس كبريانوس» (تحت الطبع) ـ سلسلة آباء الكنيسة ـ اخثوس IXΘYΣ ـ حيث ستجد فيه النص الكامل لكتاب الأعمال والصدقات .

فأشعياء النبى ايضاً وهو مملوء من الروح القدس يصرخ ويوبخ بنات صهيون إذ أفسدهن الذهب والفضة والثياب ، ويوبخهن لأنهن غارقات فى ثراء مهلك ، ومبتعدات عن الله لأجل مسرات العالم ، ويقول: «من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدوات الأعناق وغامزات بعيونهن وخاطرات فى مشيهن ويخشخشن بأرجلهن ، يصلع السيد هامة بنات صهيون ويعرى الرب عورتهن ، ينزع السيد فى ذلك اليوم زينة الخلاخيل والضفائر والأهلة والحلق والأساور والبراقع والعصائب والسلاسل والمناطق وحناجر الشمامات والأحراز والخواتم وخزائم الأنف والثياب المزخرفة والعطف والأردية والأكياس والمرائى والقمصان والعمائم والأزر فيكون عوض الطيب عفونة وعوض المنطقة حبل وعوض الجدائل قرعة وعوض الديباج زنار مسح وعوض الجمال كى» (أش٣ :١٦-٢٤) فهذا ما يلومه الله ويعلنه: لأنه يقول أن العذارى فاسدات فإذ ابتعدن عن العبادة الحقيقية الإلهية وصرن عاليات ، سقطن برؤوسهن المزينة وصار نصيبهن الخزى والعار ، وإذ لبسن الحرير والارجوان ، لا يمكنهن بعد أن يلبسن المسيح ، وإذ تزين بالذهب واللآلئ والقلائد ، فقدن زينة القلب والروح .

ويحذر العذارى أن يتجنبن ذلك الذى كان سبباً لهلاك الأخرين فمنْ ذا الذى يشتهى أن يأخذ ما كان سيفاً وسلاحاً لقتل آخر؟ وإذا كان منْ شرب من الكأس قد مات ، فسنعرف بالتأكيد أن ما شربه كان سماً ، واذا كان أحد قد مات بعد تناول الطعام لن نأكل أو نشرب مما رأينا قبلاً أنه كان سبباً لهلاك الآخرين ، ويلخص تحذيره للعذارى قائلاً: «أى جهل للحقيقة هو ، وأى جنون عقل أن تشتهين ما هو مؤذى وما سوف يؤذى دوماً ، وأن تعتقدن أنكن أنفسكن لن تهلكن بهذه الأمور التى تعلمن أن بها قد هلك آخرون!!» .

ويوضح الكاتب أنه ليس فقط العذارى والأرامل بل وايضاً النساء المتزوجات وكل جنس المرأة لابد أن يعلمن أن عمل الله وصنعته يجب ألا يُغش ويُغيّر سواء باستخدام الألوان والأصباغ أو بأى نوع من المساحيق التى تفسد الملامح الطبيعية ، لأن الله يقول «نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا» (تك١ :٢٦) «وهل يجرؤ أحد أن يغير أو يبدل ما عمله الله؟» .

إنهن يحاولن أن يغيرن ما عمله الله غير عالمات أن كل ما أتى إلى الوجود هو من

عمل الله وصنعته ، فإذا كان هناك رسام ورسم بدقة وألوان رائعة صورة لشخص ما ، واكتملت الصورة وصارت شبه الشخص المرسوم فعلاً ، ثم جاء آخر ووضع يده عليها كما لو كان ـ لأنه أكثر مهارة ـ يمكنه أن يجعلها أفضل ، سيكون من الطبيعى أن يحدث خطأ شديد وتلف للصورة ، وسيكون ذلك سبباً وجيها لغضب الرسام الأصلى .

وإرتكاب العذارى لمثل هذه التعديات إنما هو إهانة لله الخالق الصانع ، وعندما يستخدمن الأصباغ المغرية ويتزين ويصففن شعورهن ، يشوهن العمل الإلهى ويزغن عن الحق .

إن صوت الرسول المحذر يقول: «نقوا منكم الخميرة العتيقة لكى تكونوا عجيناً جديداً كما أنتم فطيراً ، لأن فصحنا ايضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا ، إذاً لنعيد ليس بخميرة عتيقة ولا بخميرة الشر والخبث بل بفطير الإخلاص والحق» لكن هل يُحفظ الإخلاص والحق عندما يتلوث ما هو مخلص ويتدنس بألوان مغرية ، وعندما يتبدل ما هو حق إلى كذب بالأصباغ الخادعة والمساحيق؟ رغم أن الرب يقول: «لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء» (مت٥:٣٦) .

ويطلب كبريانوس فى محبة أبوية من العذارى أن يتذكرن أنهن إذا تزين بالمساحيق هكذا ، فإن خالقهن لن يعرفهن ثانية فى يوم القيامة ، وسيبعدهن عن جعالاته ومواعيده ويرفضهن موبخاً إياهن قائلاً أن هذا ليس عمله ولا هذه صورته ، وأنهن قد لوثن بشرتهن بمسحوق كاذب وغيرن شعرهن بألوان دنسة ، ففسدت صورتهن وتبدلت رزانتهن وهدوءهن...

ويحذرهن أنهن لن يستطعن رؤية الله لأن عيونهن لم تعد تلك التى صنعها الله ، بل تلك التى أفسدها الشيطان ، إذ قلد العيون الحمراء المرسومة التى للحية ، ولأنهن متزينات مثل عدوهن فمعه ايضاً سوف يُحرقن قريباً... ويجب أن تتفكر خادمات الله فى هذه الأمور ، ويجب أن ترهبنها ليل نهار .

فلتنظر النساء المتزوجات إلى الأمر هكذا ، وينظرن كيف يخدعن أنفسهن بالحديث عن رغبتهن فى إرضاء أزواجهن ، وبينما يجعلن أزواجهن عذراً لهن ، يجعلونهم شركائهن فى خطأهن .

أما العذارى ـ واللائى يوجه إليهن كبريانوس حديثه ـ اللائى تزين بفنون من هذا النوع ، فيرى كاتبنا أنه يجب ألا يعتبرن فى عداد العذارى بل مثل الخراف المُصابة والماشية المريضة ، يعزلن عن قطيع البتولية المقدس والنقى لئلا بوجودهن وعيشهن معاً يلوثن الباقى بعدوى مرضهن ، لئلا يفسدن أخريات كما هلكن هن أنفسهن .

وينهى أسقف قرطاجنة العذارى عن حضور حفلات الزفاف وعن الإشتراك فى المناقشات والأحاديث غير العفيفة الدنسة ، عن سماع ما لا يليق ، عن الجلوس على موائد السكارى والكلمات المخزية ، ويتساءل «أى مكان فى الزفاف لتلك التى ذهنها ليس نحو الزواج؟ وما الذى يمكن أن يكون ممتعاً أو مُفرِحاً لها فى هذه الأعمال ، حيث الرغبات والشهوات مختلفة عن تلك التى لها؟» ويعد فشلاً ذريعاً للعذراء فى تحقيق نذرها عندما تذهب هناك عفيفة وتخرج غير عفيفة!! ورغم أنها تظل بتول فى جسدها لكن فى العينين ، فى الأذنين ، فى اللسان ، فقدت الكثير من الفضائل التى كانت قد اقتنتها قبلاً.

كذلك ينهيهن عن ارتياد الحمامات العامة بحجة غسل الجسد ، لأن فى هذه الحمامات من الخلاعة والفساد ما يفوق المسارح ، وحتى إن لم تتأثر العذراء بما تراه هناك من فساد ومشاهد شهوانية ، إلا أنها ستكون عثرة للأخرين وموضع شهوتهم ، فهذه الحمامات لا تغسل أو تطهر الجسد ، بل تدنسه .

لذلك تحزن الكنيسة على عذاراها وتأن وتنوح بسبب سيرهن المخزية ، فبينما تريد العذارى أن يتزين بعناية أكثر ، وأن يتجولن بحرية أكبر ، لا يعدن بعد عذارى ، بل فاسدات بخزى ماكر ، ويصرن أرامل قبل أن يتزوجن، زانيات خائنات ، ليس لأزواجهن ، بل للمسيح ، وبقدر ما كان نصيبهن قبلاً أن ينلن جعالات عظيمة لأجل عذراويتهن ، كذلك سينلن عقاباً مريعاً لأجل فقدانهن عذراويتهن وبتوليتهن .

وبمحبة رعوية يحث القديس كبريانوس بناته العذارى قائلاً:

«لذلك استمعن إلىّ أيتها العذارى كأب
استمعن أرجوكن لمن يخاف بينما يحذر
استمعن لمن يحذركن بإخلاص لأجل فائدتكن ومنفعتكن

احفظن أنفسكن كما صنعكن الله الخالق
احفظن أنفسكن كما زينكن أبوكن السماوى
ليظل وجهكن غير فاسد
رقبتكن غير مزينة
هيئتكن بسيطة
ولا تدعن ثقوباً تُصنع فى آذانكن
لا تدعن الأساور والقلائد الثمينة تلتف حول أذرعتكن أو رقابكن
فلتكن أقدامكن حرة من القيود (القلائد) الذهبية
شعوركن غير ملوثة بأى صبغة
عيونكن مستحقة أن تعاين الله
فليكن استحمامكن مع النساء اللواتى بينهن يكون حميمكن عفيفاً
ابتعدن عن الأعياد المخزية وموائد الزواج الماجنة التى سمها خطر
اهزمن الثياب لأنكن عذارى
اهزمن الذهب لأنكن تهزمن الجسد والعالم ، فمن غير المعقول ألا يستطيع (العدو) الأكبر أن يهزمكن بينما توجدن مهزومات من الأصغر!!
عسير وضيق هو الطريق المؤدى إلى الحياة
شاق وصعب هو الدرب الذى يفضى إلى المجد
عبر هذا الطريق يتقدم الشهداء ، تعبد العذارى ، يتقدم الأبرار
هناك يتملق الشيطان كى يخدع ، يبتسم كى يصنع شراً ، يغوى كى يقتل» .

ويرى كبريانوس أن مرتبة العذراى تالية على الفور لمرتبة الشهداء ، فثمرة الشهداء هى مئة ضعف ، وثمرة العذارى هى ستون ضعف ، وكما أن الشهداء لا يفكرون فى الجسد أو العالم ، كذلك العذارى ـ اللائى جعالتهن تالية فى النعمة ـ يجب أن يكون لهن ايضاً قوة إحتمال تالية للشهداء ، فالإرتقاء للأمور العظيمة ليس بالأمر السهل ، فأى كد نبذل وأى عمل نعمل عندما نحاول أن نصعد التلال أو قمم الجبال! فإى كد وعمل إذاً كى نصعد إلى السماء؟ لكن إذا نظرنا إلى جعالة الموعد ، سنجد العمل أقل...

ويحث العذارى أن يتمسكن بقوة بما قد بدأن أن يكنه ، وبما سوف يكنه ، لأن هناك جعالة عظيمة تنتظرهن ، ومكافأة عظيمة للفضيلة ، ويشرح لهن أى تعب تتجنبه فضيلة العفة ، وأى صلاح تقتنى ، فالله يقول للمرأة: «تكثيراً أكثر أتعاب حبلك ، بالوجع تلدين أولاداً وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك» (تك٣:١٦) أما العذارى فهن متحررات من هذا الحكم ، فلا يخشين أحزان وآنات النساء وليس لديهن خوف من الحبل ولا يتسلط زوج عليهن ، لكن سيدهن ورأسهن هو المسيح ، وهذا ما أعلنه الرب بقوله: «أبناء هذا الدهر يزوّجون ويزوّجون ولكن الذين حسبوا أهلاً للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الموت لا يزوجون ولا يزوجون إذ لا يستطيعون أن يموتوا ايضاً لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة» (لو٢٠:٣٤-٣٦) فالحالة التى يبلغها الأبرار فى القيامة ، تبلغها العذارى الآن ، إذ يقتنين فى هذا العالم مجد القيامة ، ويعبرن العالم دون الإصابة بسموم العالم ، ولأنهن يعشن عفيفات بتولات ، لذلك هن مساويات لملائكة الله ، لكن يجب أن يحفظن بتوليتهن بصبر ، وكما بدأن بشجاعة كذلك يكملن جهادهن دوماً ، ولا يطلبن زينة العنق ولا الثياب بل زينة السلوك وينصحهن القديس كبريانوس «فلترتفع عيونكن نحو الله والسماء ، وليس إلى أسفل نحو شهوة الجسد وشهوة العالم» .

لقد أمرت الوصية الأولى بالنمو والكثرة ، وجاءت الوصية الثانية تمتدح العفة والبتولية وتوصى بها ، لكن الرب لا يأمر أن نعيش خصيان لأجل الملكوت ، لكنه فقط يحثنا ، فهو لا يضع نير الضرورة لأن إختيار الإرادة الحرة متروك للإنسان ، لكن عندما يقول أن فى بيت أبيه منازل كثيرة ، يعنى بهذا أن هناك سكنى فى منازل أفضل ، وهو ما تطلبه العذارى ، إذ يتركن شهوات ورغبات الجسد ، فينلن جعالة ذات نعمة عظيمة فى المنزل السمائى .

حقاً كل الذين ينالون العطايا الإلهية والميراث السمائى بتقديس المعمودية حيث يخلعون الإنسان العتيق بنعمة الحميم المخلص ، ويتجددون بالروح القدس من دنس المرض القديم ، يتطهرون بهذه الولادة الثانية ، لكن أعظم قداسة وأعظم حق لهذا الميلاد الثانى يخصان العذارى اللائى لم تعد لهن أى شهوات جسدانية ، بل فقط أمور الفضيلة والروح القدس هى التى بقيت فيهن للمجد ، فهذه هى كلمة الرسول الذى دعاه الرب

إناءه المختار ، والذى أرسله ليكرز بالوصية السمائية «الإنسان الأول من الأرض ترابى ، الإنسان الثانى الرب من السماء ، كما هو الترابى هكذا الترابيون ايضاً ، وكما هو السماوى هكذا السماويون ايضاً ، وكما لبسنا صورة الترابى سنلبس ايضاً صورة السماوى» (١كو١٥ :٤٧) فالبتولية تحمل هذه الصورة ، القداسة تحملها ، الحق يحملها ، التلاميذ الذين يملأ الله أذهانهم يحملونها ، يحفظون البر مع الديانة ، ثابتين فى إيمان ومتضعين فى مخافة ، شجعان لكل الآلام ، ودعاء فى تحمل الخطأ ، مسرعين لإظهار الرحمة ، لهم ذهن واحد وقلب واحد فى سلام أخوى .

ويختتم القديس كبريانوس كتابه قائلاً أنه على العذارى الصالحات أن يحفظن سائر هذه الأمور وأن يحببنها ويكملنها ، هن اللائى كرسن أنفسهن للرب ، وعلى المتقدمات فى الأيام أن يقدمن تعليماً للصغيرات ، وعلى الصغيرات أن يقدمن قدوة وحافز إلى قريناتهن ، ويختتم القديس كبريانوس كتابه بقوله:

«احتملن بشجاعة ، تقدمن روحياً ، نلن بفرح
فقط اذكرونا فى ذلك الوقت ، عندما تبدأ البتولية تُكافئ فيكن» .

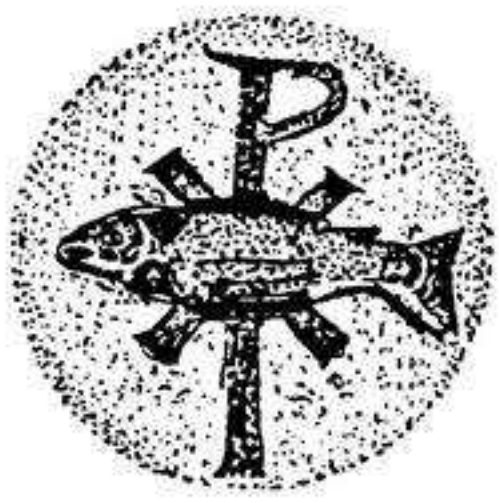

الفصل الثالث

القديس اغريغوريوس النيصى

«عن البتولية»

ON VIRGINITY

شرح القديس اغريغوريوس النيصى فى كتابه «عن البتولية» أن مدح البتولية يُسمع فى الحال فى نفس الكلمة التى ترافقها دوماً وهى كلمة «عديم الفساد To $\alpha\phi\theta o\rho o\nu$» فهذه هى الكلمة التى تطلق عليها دوماً ، وهذا يوضح نقاوتها وطهارتها ، ومن بين سائر ثمار الجهاد فى طريق الفضيلة ، كُرمت بأن أُعطيت لقب عدم الفساد ، وإذا أردنا أن نمدح هذه العطية العظيمة التى من الله لكانت كلمات الرسول بولس كافية فى مدحها ، فمع أنها قليلة إلا أنها تغنى عن كل مديح ، فهو يقول عن تلك التى تتزين بهذه العطية «مقدسة وبلا عيب» (أف٥ :٢٧) وإذا كان تحقيق ونوال هذه الفضيلة العظيمة يكمن فى أن يصير الإنسان «مقدس وبلا عيب» وهذه الكلمات عينها تُستخدم فى كامل معناها لتمجيد الإله الغير قابل للفساد ، فأى مدح أعظم للبتولية من هذا ، إذ هكذا يظهر أنها تمجد هؤلاء الذين يشتركون فى أسرارها النقية ، وبذا يصيرون شركاء فى مجد ذاك الذى هو بالحقيقة الوحيد القدوس ، والوحيد الذى بلا عيب .

وفهم هذه النعمة الفائقة والمجد العظيم الذى لها يحتاج إلى تفكير عميق ، وهى تُفهم فى فكرة الآب عديم الفساد ، وهنا نجد أمراً عجيباً ، أى أن البتولية توجد فى الآب مع أن له ابناً ، وتوجد البتولية ايضاً فى طبيعة هذا الابن الوحيد ، وكذا تشرق من ميلاده النقى الذى بلا شهوة ، فالابن أُعلن لنا عن طريق البتولية ، وتُرى البتولية ايضاً فى النقاوة العديمة الفساد التى للروح القدس ، لأنك عندما تذكر اسم النقاوة وعدم الفساد فقد ذكرت اسم البتولية .

ويرى أسقف نيصص أن ربنا يسوع المسيح لم يأت إلى العالم عن طريق الزواج لكى

يعلن لنا بتجسده هذا السر العظيم ، فالطهارة هى الدليل والاشارة الوحيدة الكاملة على حضور الله ولا يستطيع أحد أن ينال هذا إلا بترك وجحد شهوات الجسد ، وما حدث داخل القديسة الطاهرة مريم عندما تجسد منها السيد المسيح يحدث داخل كل نفس تحيا حياة البتولية ، ولكن سيدنا لا يأتى بعد بحضور جسدى «وإن كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد لكن الآن لا نعرفه بعد» (٢كو٥:١٦) بل روحياً ، يسكن فينا ويحضر أباه معه كما يعلم الإنجيل (يو١٤:٢٣) .

والبتولية بتعريف القديس اغريغوريوس هى رباط وحدة بين الإلهى والبشرى ، إذ بينما هى فى السماء مع أبى الأرواح ، تمد يديها من أجل خلاص الإنسان ، وبينما هى الطريق الذى نزل منه الله لكى يشارك الإنسان فى بشريته ، تعطى ايضاً أجنحة للإنسان لكى يرتفع للأشياء السمائية .

سعداء هم الذين لهم قوة لاختيار هذا الطريق الأفضل ، والذين لم يحرموا أنفسهم منه بالانشغال بأمور العالم ، فلا يستطيع أحد أن يتسلق إلى علو البتولية إن كان قد سبق له أن وضع قدمه فى حياة العالم .

الإنسان البتول هو الذى يطهر نفسه ويرتفع عن كل خطايا العالم مثل الحقد والحسد والضغينة إلخ ، وليس لديه أى شئ يثير حسد قريبه ، بل هو يحيا فى حرية وسلام تام ، فلقد ترك العالم واختار الفضيلة كملكيته الوحيدة الثمينة ، لأن الفضيلة ـ رغم أن الجميع يشتركون فيها ـ تكون بفيض ووفرة لمن يعطش إليها .

البتولية هى الرفيق فى الجهاد والمساعد على تحقيق الحياة السمائية الملائكية ، فكما أنه فى العلوم الأخرى ابتكر الإنسان وسائل عملية من أجل تحقيق أهداف معينة ، كذلك البتولية هى الوسيلة العملية فى علم الحياة الإلهية ، إذ أنها تسمو بالروح فوق العالم وتجعلها تتطلع إلى الأمور الإلهية والجمال الغير مخلوق .

ويرى اغريغوريوس أن البتولية هى سر عظمة إيليا النبى وايضاً ذاك الذى ظهر فيما بعد فى روح إيليا والذى لم يكن بين مواليد النساء من هو أعظم منه ، فكلاهما منذ شبابه المبكر اعتزل العالم ، وبطريقة ما اعتزل ايضاً الحياة والطبيعة البشرية ، وذلك بتركه للأنواع المعتادة من الشراب والطعام ، وبسكناه فى البرية ، فكان لسانهما بسيطين

وكذلك آذانهما كانت متحررة من أى ضجيج مشتت ، وعيونهما من أى منظر مشتت وهكذا نالا هدوء وسكينة النفس ، وارتفعا إلى العلو الإلهى الذى سجلته الكتب المقدسة عنهما ، فإيليا صار موزعاً لعطايا الله ، وصار له سلطان أن يغلق السماء عندما يريد فلا تمطر على الخطاة ، وأن يفتحها من أجل الأبرار المجاهدين ، ويوحنا الصابغ لم يُقال عنه أنه صنع أى معجزة ،،ولكن رب المجد الذى يعرف كل الأسرار قال أن العطية التى فيه أعظم من عطية أى نبى ، كل هذا لأن الأثنين كرسا قلبيهما للرب منذ البداية حتى النهاية ، فتحررا من كل شهوة أرضية بشرية ومن محبة الزوجة والأطفال ، بل حتى لم يعتبرا قوتهما اليومى مستحقاً القلق والتفكير فيه ، ويعتقد القديس اغريغوريوس أنهما ما كانا ليصلا إلى ارتفاع الروح هذا لو كانا قد تزوجا ، وهذا ليس مجرد تاريخ بل «كتب لأجل تعليمنا» (١كو١٠ :١١) لكى نقتدى ونتمثل بهما ، فماذا إذاً نتعلم من هذا؟ نتعلم أن الإنسان الذى يشتاق إلى الإتحاد بالله ، عليه مثل هؤلاء القديسين أن ينزع عقله من كل إنشغال عالمى .

ويشرح أسقف نيصص الكبادوكى أن الإنسان خُلق على صورة الله ومثاله بيد أن هذه الصورة والشبه تشوهت بالخطية لكنها لم تمح ، فبإمكاننا وبإرادتنا نستطيع أن نستعيد هذه الصورة التى تلوثت بأدناس الخطية ، وذلك بأن نترك الأسباب التى حرمتنا من الفردوس ، ونحيا كما كان آدم يحيا فيه ، يتأمل فى جمال الله وعمله ويجد كل مسرته وفرحه مع الله ، وكانت حواء تحيا معه فى مسرة الله ، ولم يعرفها ، وبذا يلمح القديس إلى أننا بعيشنا البتولية ، كما كانت فى الفردوس ، نستعيد صورة وشبه الله .

الفصل الرابع

القديس امبروسيوس

«عن البتولية»

CONCERNING VIRGINITY

الكتاب الأول

يبدأ القديس حديثه بفرح وابتهاج لأن ذلك اليوم كان يوافق عيد ميلاد عذراء وهو يتحدث عن البتولية والعذارى ، ويعنى بهذه العذراء الشهيدة أجنس ، ويقصد بيوم وعيد ميلادها عيد استشهادها ، ويأخذ القديس فى مدح أجنس فقد تحملت الاستشهاد ولها من العمر أثنتى عشر ربيعاً ، ولكنها الصغيرة والقليلة جسداً كانت عظيمة حقاً وكبيرة إيماناً... لقد ذهبت عذراء فرحة إلى مكان العقاب والعذاب ، لم تزين رأسها بالشعر المصفوف المنمق بل بالمسيح... «بكى الجميع وبقيت هى وحدها بلا دموع! تعجب الجميع كيف تضحى بحياتها هكذا ، وهى التى لم تستمتع بها بعد! وها هى الآن تقدمها كأنى بها قد شبعت من طول أيامها...» .

ويتساءل القديس امبروسيوس عن أية تهديدات هددها بها الجلاد ليرهبها ، وأية إغراءات ووعود قدمها إليها الراغبون فى الزواج منها «ولكنها أجابت: سيكون جرحاً لعريس نفسى إذا نظرت إلى من يغرينى ، فالذى اختارنى أولاً لنفسه سيستقبلنى ، فلماذا تتباطئ أيها الجلاد؟! فلتقتل هذا الجسد الذى تعشقه عيون الآخرين» .

ويرى امبروسيوس أن البتولية تُرى فى الشهداء بل بالحرى تصنع الشهداء ، ولكن من ذا الذى يستطيع أن يفهم معنى البتولية بفهمه البشرى ، إن كانت الطبيعة نفسها لا

تدرجه فى نواميسها؟! أو منْ ذا الذى يستطيع بلغة عادية أن يصف ذلك الأمر الذى فاق الطبيعة؟! فهذه الفضيلة العظيمة التى هى البتولية قد أتت من السماء بذاك الذى نستطيع أن نتشبه به على الأرض ، إذ قد وجدت عريسها الحقيقى فى السماء ، بعد أن ارتفعت وحلقت متجولة إلى ما وراء السحب والهواء والنجوم والملائكة حتى وجدت كلمة الله فى حضن الآب فإجتذبته إليها بكل قلبها ، فمنْ ذا الذى يعثر على هذا الخير كله ويتركه؟! «لأن اسمك دهن مهراق لذلك احبتك العذارى» (نش١ :٢، ٣) .

ثم يوضح القديس امبروسيوس أن ما قاله ليس من عندياته لأن الذين لا يزوجون ولا يتزوجون (مر١٢ :٢٥) هم كملائكة فى السموات ، لذا ينبغى أن لا نندهش حينما يُشبه البتوليين بملائكة الله فى السماء ، ومنْ ذا الذى ينكر أن هذه الحياة العذراوية تستمد قوتها من السماء ، تلك الحياة التى لم تُوجد على الأرض إلا عندما نزل رب المجد وأخذ جسداً بشرياً!! فقد تجسد الكلمة من العذراء مريم وصار جسداً حتى يصير الجسد إلهياً .

ويعلق القديس على الآية الواردة فى (خر١٥ :٢) «وأخذت مريم النبية الدف بيدها وخرجت جميع النساء وراءها يرقصن فى اتضاع وعفة» قائلاً إن مريم النبية كانت رمزاً للكنيسة التى كعذراء عفيفة بروح غير دنس وبلا عيب تجمع المؤمنين ليرنموا الترانيم والتسابيح الإلهية ، ويرى أنه بتجسد الرب الذى وحّد لاهوته مع ناسوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير دخلت الحياة السماوية الملائكية إلى العالم ، وانغرست وتأصلت فى الأجساد البشرية ، لأنه مكتوب «ملائكة قد جاءت وصارت تخدمه» (مت٤ :١١) فبتجسده اعطى لنا أن نقدم له هذه الخدمة السمائية ، خدمة الجسد الطاهر غير الدنس .

وتحدث القديس عن عذارى فستا المكرسات لخدمة فستا الوثنية (إحدى الألهات الوثنيات) ، وأعلن أنهن عذارى بلا عفة وبلا عذراوية ، ولكى يقدم مقارنة قوية مع عذارى المسيحية ، يتحدث عن عذارى المسيح وكيف أنهن قهرن القوات الغير منظورة ، فلم يكن انتصارهن على اللحم والدم بل على رئيس هذا العالم وسلطان هذا الدهر ، ويقدم أجنس مثلاً ، فهى الصغيرة سناً كانت عظيمة فى الفضيلة وشهدت بلسانها للرب يسوع واعترفت به بجسدها ، وعمرها لم يعرف معنى الشهادة أو الاعتراف .

ثم يعدد القديس امبروسيوس هنا كرامات البتولية وهى:

١) كما أنه قد جرت العادة أن يذكر اسم العائلة أو الأب للتدليل على أصالة النسب ، لذلك وطن وبيت ومحل ميلاد البتولية هو السماء ، فهى الوطن الأصلى للبتولية ، ولذا هى غريبة على الأرض ساكنة فى السماء .

٢) العفة التكريسية البتولية هى الطهارة من الدنس ، وصاحبها ومؤسسها هو ابن الله البتول الذى بلا دنس ، الذى لم ير جسده فساداً ، فكم عظيمة هى استحقاقات البتولية... كان المسيح قبل العذراء وولد من العذراء ، فرغم أنه المولود من الآب بالحقيقة قبل كل الدهور ، إلا أنه ولد من العذراء فى ملء الزمان .

أما عن رؤية القديس امبروسيوس للزواج فيوضح أنه ليس ضد الزواج لكنه يؤكد على عظم البتولية ، فالقديس بولس الرسول يقول «أما الضعيف فيأكل بقولاً» (رو١٤: ٢) وايضاً «من زوج عذراء فحسناً يفعل ومن لا يتزوج يفعل أحسن» (١كو٧: ٣٨)... فالإنسان لا يخطئ إذا تزوج ، ومن لا يتزوج فمن أجل الأبدية ، «فالزواج علاج للضعف ، بينما البتولية فمن أجل مجد العفة ، الزواج لا يمتدح أما البتولية فتطوب» .

والمتزوجات يختلفن عن العذارى ، فكلما افتخرت المتزوجة بكثرة النسل كلما زادت همومها ومتاعبها ، وهى تحبل بالآلام والأوجاع... فبنات هذا الدهر يحبل بهن ويحبلن، بينما ابنة الملكوت تمتنع عن اللذة الزيجية ، لذة العرس الأرضى ، لذة الجسد ، لتكون مقدسة جسدا وروحاً .

ثم يشير إلى بعض الأفعال المرفوضة التى تلجأ إليها بعض الزوجات حينما يدهن وجوههن بالمساحيق والألوان المختلفة ، وهن بذلك يلوثن عفتهن ، فمن الجنون أن يستبدلن الشكل الطبيعى ويبحثن عن أصباغ ودهانات... وكذلك شغف بعض الزوجات بالحلى وبالمجوهرات والثياب الموشاة بالزخرف... فهذا كله لا يغير فيهن شيئاً .

بعد ذلك ينتقل للحديث عن العذارى المطوبات اللائى تتزين بالزينة الحقيقية الباطنية... فباتضاعهن المقدس تشرق وجوههن ، وجمالهن الحقيقى هو فى العفة البهية

التى لا تعثر الآخرين ، وهو جمال داخلى ، لأن الله يحب النفوس الجميلة بالفضيلة ، وهن لا يعلمن شيئاً عن متاعب وأوجاع الولادة ، لكن أعظم هى ذرية النفس التى تستغنى بفضائلها ولا تنزعج أو ترتبك بفقدان أحد ، فقد ماتت عن الجميع من قبل... وإن فقدت أهلها لكن صار لها محبون كثيرون .

ومن الحديث عن العذارى ينتقل القديس للحديث عن مثال العذارى وأمهم أى الكنيسة المقدسة التى وإن كانت عذراء لا تعرف زواجاً إلا أنها خصبة ولود ، «فهى فى عفتها عذراء وفى ذريتها أم» ومع أن الكنيسة عذراء إلا أنها تحملنا أبناء لها لا من أب بشرى بل من الروح القدس ، لا تحملنا بالآلام بل بفرح وتهليل الملائكة وهى العذراء التى تطعمنا لا بلبن جسدانى بل بلبن الآباء الرسل ، كالذى غذى به القديس بولس غير القادرين من شعب الكنيسة «كجسديين كأطفال فى المسيح سقيتكم لبناً.. لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون» (١كو٣:٢) ويتساءل امبروسيوس «أى عروس لها ما للكنيسة المقدسة من أبناء؟ تلك التى فى أسرارها عذراء لكنها أم للجميع ، التى يشهد الكتاب المقدس لخصوبتها قائلاً: ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد ، اشيدى بالترنم أيتها التى لم تتمخض ، لأن بنى المستوحشة أكثر من بنى ذات البعل (اش٥٤:١ ، غلا٤:٦)» .

ثم يحث القديس الأباء على تدريب أولادهم وبناتهم على الفضائل والجهاد لأن **«العذراء هى تقدمة أمها»** ، ويسألهم القديس أن يتركوهم ينمون فى طريق الكمال ولا يمنعوهم ، ويحدث هؤلاء الذين يمنعون بناتهم عن السير فى درب البتولية لأنهم يريدون أن يكون لهم أحفاد ، ويقول لهم أن الأحفاد شئ غير مؤكد أو مضمون بينما الفضيلة مضمونة وأثمن بما لا يقارن .

ويعلن أسقف ميلان أنه ليس ضد الزواج بل هو يشجعه ويلوم من يعارضونه ويدينوه ، لأن الذين يدينون الزواج يدينون ايضاً النسل وميلاد الأطفال ويدينون استمرارية الجنس البشرى جيلاً بعد جيل .

فهو لا يقاوم الزواج بل يجمع معاً كل مزايا البتولية وعظمتها وقداستها ، فهى هبة عظيمة تعطى لأقلية من الناس ، بل هو يقارن بين أمور كلها صالحة ، يقارن الصالح

بالصالح ليظهر أكثرهما سمواً ، وهو لا يعطى رأياً من عنده بل يكرر ما قاله الروح القدس بالنبى القائل «أما العاقر الطاهرة التى لم تعرف المضجع الفاحش فطوبى لها» (حكمة٣ :١٣) .

ويعلن القديس أن المتزوجين والمتزوجات ينبغى بالضرورة أن يعترفوا أنهم أقل رتبة من العذارى اللاتى استحققن سماع ذلك الصوت «أنت ابرع جمالاً من بنى البشر وقد انسكبت النعمة على شفتيك» (مز٤٥ :٢) ، لأن منْ هو ذلك العريس؟ إنه ذلك الواحد الذى قنيته تفوق الوصف وغناه يفوق افتخارنا ، الذى عرشه إلى أبد الأبدين ، وكرامته تشاركه فيها بنات الملك «بنات ملوك بين حظياتك ، جعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير ، اسمعى يا بنت وانظرى واميلى أذنك وانسى شعبك وبيت أبيك ، فيشتهى الملك حسنك ، لأنه هو سيدك فاسجدى له» (مز٤٥ :٩-١١) .

ويدعو القديس العذارى أن يتأملن الملكوت الذى أعده الروح القدس لهن بشهادة الكتاب المقدس ، فهو ملكوت الذهب والجمال «الذهب لأنكن عرائس الملك الأبدى ، ولأنكن ـ وقد صار لكن الفكر الغير مغلوب بالشهوة ـ لن تستعبدن من قِبل الملذات الحسية ، بل قد دستن عليها ، والذهب ايضاً أكثر قيمة من كل المعادن إذا جرب بالنار ، وهكذا ايضاً يظهر الجسد البتول مكرساً للروح القدس ، عظيم فى جماله ، لأن من يتصور جمالاً أعظم من جمال العروس التى أحبها العريس الملك واشتهى حسنها ، وإذ قد أُعتقت من الدينونة ، صارت كلها مكرسة للرب ، مقدسة ونذيرة لله ، عروساً عذراء إلى الأبد ، فى حب لا ينتهى وحشمة لا تفنى» .

فهذا هو بالحق الجمال الكامل الذى لا ينقصه شئ ، الذى وحده يستحق سماع صوت الرب القائل: «كلك جميلة يا حبيبتى ، ليس فيك عيبة ، هلمى معى من لبنان يا عروس معى من لبنان» (نش٤ :٧،٨) فهذه هى سمات جمال النفس البتول الفائق الذى لا يُعبر عنه ، المكرس لمذابح الله فلا يتأثر بالشهوات الزائلة أو بالحيوانات المفترسة الروحية أجناد الشر ، لأن النفس التى تنشغل تماماً بأسرار الله ، تُوجد مستحقة للحبيب الذى تفيض أحضانه فرحاً «بخمر تفرح قلب الإنسان» (مز١٠٤ :١٥) .

وللقديس امبروسيوس تأمل جميل عن رائحة العروس ، فالحكيم يقول «ما أحسن حبك يا أختى العروس ، كم محبتك أطيب من الخمر وكم رائحة أدهانك أطيب من كل الأطياب» (نش٤ :١٠) ويكمل ايضاً «رائحة ثيابك كرائحة لبنان» (نش٤ :١١) وهنا يقول قديسنا: «انظرى أيتها العذراء أية رفعة وعظمة قد سموت إليها ، فإن رائحتك الأولى تفوق كل الأطياب إذ قد استخدمت فى تطييب جسد المسيح المخلص (يو١٩ :٣٩) ففاح بخور أريجها ، أما الرائحة الثانية فهى مثل رائحة لبنان التى تستنشق من جسد الرب عديم الفساد زهرة العفة البتولية» .

ويحث امبروسيوس العذارى أن يكون عملهن كالنحل ، لأنه يليق بالبتولية أن تشبه النحل فى نشاطه وأدبه واحتشامه وعفته ، فالنحل يتغذى على الرحيق ، لا يعرف زواجاً ولا خدراً بل يصنع عسلاً ، ورحيق العذارى والمتبتلين هو كلمة الله ، وحشمتهم هى طبيعة لا تتدنس ، ونتاجهم هو ثمرة تفيض حلاوة بلا مرارة ، وهم يعملون فى شركة ، لذا يأتى ثمرهم فى شركة .

فعلى العذارى أن يتشبهن بهذا النحل الذى طعامه الزهور ونتاجه يجمعه معاً ، ويتشبهن بفمه فلا يدعن الزيف يغلف كلامهن ، ولا يتركن الرياء يغطيه ، ليكون كلامهن طاهراً يزخر بالمنفعة .

ويجب أن يكون فم العذراء نبعاً يدوم إلى الأبد لا لوم فيه ، ولا تجمع لنفسها فقط لأنها لا تعلم متى تطلب نفسها منها ، لئلا تترك أجرانها ملآنة قمحاً دون أن تنتفع هى نفسها منها ولا الآخرين ايضاً ، بل يجب أن تسرع لتقتنى الكنوز التى لا تبلى ، وتكون غنية بالإحسان على الفقراء والمساكين

وينصح القديس العذارى أن يتأملن فى الزهرة التى هى المسيح الذى قال «أنا نرجس شارون سوسنة الأودية ، كالسوسنة بين الشوك» (نش٢ :١، ٢) ويرى القديس أن هذا «إعلان صريح عن أن الفضائل محاطة بأشواك أجناد الشر الروحية ، حتى أن من يريد أن يجمع ثمارها عليه أن يكون حذراً» .

كذلك يحث القديس امبروسيوس العذارى على طلب وجه المسيح قائلاً «خذى أيتها

العذراء أجنحة الروح القدس لتحلقى فوق كل الشهوات ، إن كنت تشتاقين إلى المسيح لأن الرب إلهنا ساكن فى الأعالى ناظر الأسافل (مز١١٣ :٥،٦) الذى كان ظهوره مثل أرز لبنان ، الذى أوراق نبتته فى السحاب وجذوره فى الأرض... ابحثى بإجتهاد عن هذه الزهرة الثمينة» .

ويصف القديس هذه الزهرة (التى هى المسيح) بأنها زهرة تحب النمو فى البساتين والجنات ، وهى تلك الزهرة التى وجدتها سوسنة أثناء تجوالها واستعدت وفضلت أن تموت عن أن تفقد عفتها ، «ولكن ما المقصود بالجنات؟ إنه هو نفسه يشير إليها قائلاً: أختى العروس جنة مغلقة عين مقفلة ينبوع مختوم (نش٤ :١٢) لأنه فى جنات مثل هذه تتدفق مياه النبع الطاهر لتعكس ملامح أيقونة الله ، والعين مقفلة والينبوع مختوم لئلا تختلط مياهها بالطين فتتلوث من أوحال تتمرغ فيها الحيوانات الروحية المفترسة ، ولهذا السبب ايضاً تُحاط حشمة العذارى بسياج من الروح القدس ، فتصير جنة مغلقة حتى لا تُفتح وتُسرق وتنهب ، وكجنة يصعب دخولها من خارج ولكن يفوح منا أريج البنفسج مع الزيتون ، وتعبق برائحة الورود لأن الإيمان يزدهر فى الكرمة والسلام فى الزيتونة ، والحشمة ـ حشمة البتولية المكرسة ـ فى الوردة ، وهذه هى الرائحة التى اشتمها البطريرك القديس اسحق قال «رائحة ابنى كرائحة حقل قد باركه الرب» (تك٢٧ :٢٧) فقد أتى إليه ابنه بحصاد حقله الممتلئ بكل صنوف الثمار ، حصاد العمل العظيم ، حصاد الازدهار والإثمار» .

وإن اشتاقت العذراء أن تكون جنتها عظيمة وحلوة ، فعليها أن تغلقها بوصايا الأنبياء «اجعل يا رب حارساً لفمى ، احفظ يا رب شفتى» (مز١٤١ :٣) حتى تستطيع أن تردد «كالتفاح بين شجر الوعر كذلك حبيبى بين البنين ، تحت ظله اشتهيت أن أجلس ، وثمرته حلوة لحلقى» (نش٢ :٣) وايضاً «وجدت من تحبه نفسى فأمسكت به ولم أرخه ليأتى حبيبى إلى جنته ويأكل من ثمره النفيس ، تعالى يا حبيبى لنخرج إلى الحقل» (نش٣ :٤+٤ :١٦+٧ :١١) وكذلك «اجعلنى كخاتم على قلبك كخاتم على ساعدك» (نش٨ :٦) «حبيبى أبيض وأحمر» (نش٥ :١٠) لأنه يليق بالعذراء أن تعرف تماماً من تحبه ، وتدرك فيه كل سر طبيعته الإلهية وسر الجسد الذى أخذه ، فهو أبيض لأنه يليق

به أن يكون هكذا لأنه بهاء مجد الآب ، وهو أحمر لأنه وُلد من عذراء .

ويرى القديس امبروسيوس أن العذارى مُستحقات أن يُشبهن بالكائنات السمائية وليس بالبشر ، لأنهن يحيين هنا على الأرض مستلمات من الرب الوصايا لحفظ هذه الحياة «اجعلنى كخاتم على ساعدك» (نش٨:٦) .

ويدعو أسقف ميلانو العذارى لأن يملأن حياتهن بالمخافة لتسيج حولهن بالأمان والسلام فى الكنيسة التى تمنح الحماية لأنها تشتاق إلى مسرة أولادها وبناتها ، وهى نفسها مثل «سور وثدياها كبرجين» (نش٨:١٠) تعتنى بهن دوماً فتنتهى مخاوفهن من الهجمات المضادة التى للعدو الشرير ، وهى كأم مترفقة تهتم بأولادها فتمنحهم الحب والسلام ولهذا يقول النبى «ليكن سلام فى أبراجك ، راحة فى قصورك» (مز١٢٢:٧) .

ويرى الكاتب أن **طغمات الملائكة تحرس العذارى حراسة خاصة** لأنهن فى عفتهن الغير دنسة يحفظن خدر العريس الرب مقدساً «فلا عجب إن كانت الملائكة تحارب من أجلكن ، لأنكن تحاربن ايضاً بحياة ملائكية» .

وبعد أن شبه العذارى بالملائكة وأوضح أن طغمات الملائكة تحرسهن ، أراد أن يُجمل حديثه فقال أن العفة تصنع من العذارى ملائكة ، ومنْ يحفظ بتوليته يصير ملاكاً ومنْ يفقدها يصبح شيطاناً ، والعذراء عروس للرب ، بل أن العذارى يتمتعن الآن بعربون القيامة لأنه مكتوب «لأنهم فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة فى السماء» (مت٢٢:٣٠) فما وُعدنا به فى القيامة ، تناله العذارى الآن وتتحقق غاية صلواتهن ، إذ أنهن بعد فى العالم ، ومع ذلك لسن منه ، ومع أنهن يعشن فى هذا الزمان الحاضر إلا أنه لا يعوق إنطلاقهن .

ويقدم القديس مقارنة رائعة بين الملائكة الساقطين والعذارى المرتفعات فيقول: «أى عجب أن ملائكة بسبب عصيانهم سقطوا من السماء إلى هذا العالم ، بينما العذارى بسبب عفتهن ارتفعن إلى السماء من هذا العالم» فهؤلاء العذارى المرتفعات المطوبات لا يغويهن الجسد بمسراته ولا تسقطهن الملذات الخادعة ، ولا ينصرفن إلى شهوة الشراهة والنهم ، عالمات أن الجهل يقود إلى طريق الشهوات والسقوط فى الخطية ، الأمر الذى

انخدع به كثيرون ، حتى أن شعب الله بعد أن جلسوا يأكلون ويشربون انكروا الله (خر٣٢:٥) .

ويتناول القديس قضية غاية فى الأهمية ويعالجها بحكمة أبوية رسولية ، تلك هى قضية هؤلاء العذارى اللائى يشتقن إلى نذر بتوليتهن وعفتهن للعريس السمائى ولكنهن يجدن المقاومة والمعارضة من ذوويهم أو أمهاتهم الأرامل ولهؤلاء يقول: «إن ارادت بناتكم الاقتران برجل عن حب ، فإنهن بموجب القانون الكنسى يخترن من يرغبن فى الزواج منه ، فهل يليق أن يسمح لهن باختيار إنسان ويمنعن من اختيار الله؟» .

ويتحدث القديس عن عذارى كثيرات هن جوقة من العفيفات ، تركن مباهج العالم ليسكنّ فى قدس البتولية ، ويذكر أن كثيراً من نذيرات العفة المتبتلات تركن الأهل ليعشن فى شركة البتولية ، فى بيوت المسيح كجنديات سلاحهن الوحيد عفتهن ، يرتلن ويسبحن بالتراتيل الروحية ، ومن عمل أياديهن ينلن قوتهن اليومى غير معتمدات على أحد...

ويستطرد امبروسيوس «وازداد إنجذاب العذارى لحياة البتولية ، لأن سعيهن لاقتناء فضيلة الطهارة كان ينمو ويزداد مع الأيام ، محلقات بحرية أكثر كأن أجنحة قد نبتت لهن ترفرف خفاقة ، تحلق بهن إلى منازل العفة ، متهللات ناسيات بيت الأب الجسدى ليدخلن إلى جمال الطهارة بيت العفة المُسيج (بيت الآب السماوى)..» .

يرى القديس أنه أمر صالح أن تتقد فى الوالدين غيرتهما على بناتهم العذارى ، وإذا ربحت ابنتهم العريس السمائى وإذا شبعت نفوسهم به ، فلن يعوزهم شئ ولن يعوز عذراء المسيح شئ من ميراث أبيها الجسدانى «فكم عظيمة هى فضيلة العفة وكم فقيرة هى هدايا العرس الدنيوية إذا ما قيست بها؟» .

ويحكى كاتبنا عن العذارى اللائى يفضلن العفة على ميراثهن الأرضى ، وكيف يحدث أن الوالدين يعارضان ابنتهما ويتحدثان ضدها ، لكن سرعان ما يرضخان لها ، فهما يقاومان فى بادئ الأمر لعدم تصديق نية ابنتهما وقد يهدداها بحرمانها من الميراث ، ولكنها لا تخشى خسارة دنيوية مؤقتة من أجل ربح سمائى دائم أبدى ، وقد يغويانها

بمسرات كثيرة لكن العذراء لا ترضخ ، لأنها تسعى إلى الانتصار فى هذه الحرب التى شُنت ضدها...

«اغلبى أيتها العذراء شهواتك وعاطفتك أولاً ، فإن تغلبت على مقاومة البيت أولاً غلبت العالم... افترضى أنكِ لميراثك الأرضى خاسرة ، أفلا يكفى عوضاً عن هذه القنية الزائلة أن تنعمى بالجمالات الأبدية!! لأن الرسالة السمائية تقول: ليس أحد ترك بيتاً أو والدين أو إخوة أو امرأة أو أولاداً من أجل ملكوت الله ، إلا وأخذ فى هذا الزمان أضعافاً كثيرة وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية (لو١٨ :٢٩، ٣٠) ...

ثقوا فى إيمانكم بالله ، اقرضوا المسيح الحارس الأمين الذى يحفظ وديعة رجائكم ويمنحكم هبة الإيمان بأرباح مضاعفة ، والحق لا يخدع ابداً ، وإن لم تؤمنوا بكلمة الله آمنوا بالأحرى بصدق المواعيد التى تحققت لكثيرين» .

بعد ذلك يذكر القديس قصة عذراء كانت من نبيلات هذا العالم ، وهى الآن «أكثر نبلاً وكرامة فى نظر الله» ، هذه صمم والداها على أن يزوجاها ، فاحتمت بالمذبح المقدس «إذ أى مكان أفضل تلجأ إليه من ذلك المكان الذى تُقدم عليه الذبيحة البتول ؟» .

لقد تجاسرت وهى قربان الحشمة وذبيحة العفة ، ووقفت أمام مذبح الله ويد الكاهن على رأسها تستعطفه أن يصلى لأجلها ، وفى لهفة على عدم تأجيل مسعاها البار ، وضعت هامتها تحت المذبح قائلة «أى ستر أعظم من هذا المذبح يغطينى ويسترنى ، فهو الذى يقدس الستور نفسها هذا الستر هو الأنسب والأفضل لى ، الذى فوقه يقدس كل يوم المسيح نفسه رأس الجميع ، ماذا أنتم فاعلون يا عشيرتى؟ ولماذا تزعجون نفسى وفكرى بسعيكم لزيجتى؟ لقد استعدت نفسى للعرس منذ زمان طويل ، هل أتيتم إلىّ بعريسى الحقيقى؟ لقد وجدت عريساً آخر أفضل ، فاصنعوا ما شئتم بثروتى ، وافتخروا ما شئتم بعريسكم (أى العريس الذى يريدون أن يزوجوها له) ونبل أصله وامدحوا قوته ، أما أنا فقد اقتنيت ذاك الذى لا يُقارن بأحد ، الغنى القوى فى مملكته ، الممجد فى سمائه.. إن كان لديكم مثل هذا العريس أحضروه إلىّ ، لن أرفضه ، وإن لم تجدوه فإنكم لا

تحسنوا إلىّ يا أقربائى بل.... تؤذوننى!!» ولما رأى الجميع إصرارها عل حياة التكريس البتولى انصرفوا وتركوها لتمضى إلى عريسها السمائى .

الكتاب الثانى

بعد أن أوضح القديس امبروسيوس فى الكتاب الأول عظم موهبة البتولية ، وضع كتابه الثانى ليشرح فيه كيف تسلك العذارى ، ولم يقدم فى كتابه هذا تعاليم مباشرة ـ كما قال هو نفسه ذلك ـ بل قدم أمثلة عديدة «لأن الأمثلة تحقق تقدماً أفضل خاصة عندما نرى سهولة الأمور التى تمت ، وحتى تتوقد غيرتنا فنسلك سلوك السابقين» .

المثال الأول: العذراء مريم

يدعو القديس امبروسيوس العذارى لأن يتخذن من حياة العذراء مريم مثالاً لهن ، لأن من حياة العذراء القديسة تنعكس صورة العفة وسمات الفضيلة كما من مرآة ، وليس هناك مثال أعظم منها ، لأنه «منْ أعظم من أم الله؟ منْ أمجد أو أبهى من هذه التى اختارها المجد ذاته؟» .

ويأخذ فى ذكر فضائل القديسة البتول ، وهو إنما يفعل ذلك لكى يحث العذارى على السير فى خطاها والإقتداء بها فى كل فضيلة ، لقد كانت عذراء لا فى الجسد فقط بل وفى الفكر الذى لم يتدنس قط ، كانت وديعة القلب ، وقورة الحديث ، حكيمة التفكير ، قليلة الكلام ، دؤوبة القراءة ، ويمضى امبروسيوس قدماً فى تعداد فضائل أم الله البتول التى تتعلم منها العذارى أن لا يضعن رجاءهن فى الغنى الباطل ولا فى الأغنياء بل فى صلوات المساكين والفقراء ، وأن يكن أمينات فى العمل متضعات فى الحديث ، تطلبن الله فى حياتهن ليحكم ويضبط كل أفكارهن ، لا يؤذين أحداً ، يظهرن مشيئة الخير نحو الجميع ، يوقرن كبار السن... لا يحسدن قريبتهن ، يتجنبن المديح ، يسلكن بحكمة ، لا يحتقرن البسطاء ولا يهملن المعوزين ، عيونهن تتسم بالهدوء ، وكلماتهن بالرقة وأفعالهن بالاعتدال وسكناتهن بالحكمة ، خطواتهن محسوبة وأصواتهن تبعث على السكينة... على مثال العذراء مريم التى كانت كل هذه الفضائل موجودة ومرئية فيها... فقد كانت البتول مريم ناسكة قليلة الأكل ، كثيرة الخدمات ،

تقضى معظم أيامها صائمة ، وإن نامت استيقظت نفسها واستيقظ قلبها يتأمل فيما قرأته...

ويحث القديس امبروسيوس العذارى على الحشمة والاتضاع مقتديات بأم الله التى تحدث الكتاب المقدس عن حشمتها واتضاعها نحو جيرانها ، ويحثهن ايضا على أعمال الرحمة والمحبة كما فعلت العذراء مع اليصابات عندما مكثت عندها ثلاثة شهور تخدمها .

ويؤكد على أن الحشمة كانت فضيلة العذراء مريم ، لان «الحشمة والبتولية لا تنفصلان ابداً» .

«هذا هو مثال البتولية ، والعذراء مريم وحدها درس للجميع ولنتعلم من حياتها لمنفعتنا ، فكم عدد الفضائل التى تتألق فى عذراء واحدة: سر الحشمة والاتضاع ، راية الإيمان ، خدمة التكريس والنذر... عذراء فى البيت ، رفيقة فى الخدمة ، أم فى الهيكل» .

ثم يتساءل امبروسيوس: «كم عذراء ستقابل القديسة مريم التى ستعانقهن وتأتى بهن إلى الرب؟» ، ويتخيل القديس المشهد ويرى العذراء تعانقهن قائلة: هذه كانت أمينة لعريسها ، لابنى ، لقد حفظت خدرها العرسى بحشمة لا تتدنس» .

ويرى جموع الملائكة الفرحة المتهللة بالنفس التى وُجدت مستحقة أن تسكن فى السماء لأنها عاشت على الأرض حياة سمائية .

ولا يتردد القديس فى أن يدعو العذارى هياكل الله لأن نفوسهن هى فعلاً هياكل لله ومذابح له يُقدم عليها المسيح كل يوم ، فالعذراء تخلع عنها الجسد الترابى وتلبس آخر روحانياً صنعته يد الكاهن الأبدى .

المثال الثانى: القديسة تكلة

بعد أن قدم القديس امبروسيوس العذراء كنموذج حياة للعذارى المكرسات ، يقدم الشهيدة تكلة كنموذج استشهاد وموت يتعلمن منه كيف يقدمن حياتهن وأجسادهن لله ، لأنها إذ رفضت أن تعرف زوجها جسدانياً أدانها زوجها فى ثورة غضبه وصدر

ضدها الحكم بإلقائها بين أنياب الوحوش الضارية «لكن طبيعة الحيوانات تبدلت من الإفتراس إلى توقير وتكريم البتولية»... فعندما اطلقوا أسد كاسر ليفترسها ، ركع وراح يلعق قدميها ، ساكناً هادئاً لا يتقدم ولا يتجاسر على إيذاء جسد البتول الطاهر!!

وهكذا كرّم الوحش فريسته متناسياً طبيعته الوحشية ، لابساً تلك الطبيعة التى فقدها البشر... ويستعجب كاتبنا من هذه الأمور ، فطبيعة الإنسان وقد اكتست بالوحشية والقسوة تنخس الوحش نحو الفتك والقتل ، بينما الحيوان ـ الكاسر بطبيعته ـ ساجد يقبل قدمى القديسة البتول ، ناخساً ضمائر البشر ومعلماً إياهم ما ينبغى أن يكون فيهم من خصال...

ويعلق القديس على هذه القصة بأن البتولية فيها من الفضائل ما أثار حتى إعجاب وتقدير الوحوش ، فتوقفت عن الإفتراس بالرغم من أن الإنسان قد حرمها من الطعام ، ولم تثيرهم رؤية جسد العفيفة ولا أثارت فيهم غريزة القتل ، فلم يغلبهم الغضب كما كان من قبل ، بل أخذت الوحوش توقر وتكرم العفيفة البتول ، واعطت البشر درساً فى عظمة واستحسان البتولية عندما ركعت تقبل قدمى البتول .

المثال الثالث: عذراء من أنطاكية

وخوفاً من أن يقول البعض: «كيف سُقت لنا مثال القديسة العذراء مريم كما لو كان هناك من يقدر أن يتشبه بأم الله؟ ولماذا ذكرت مثال القديسة تكلة التى علمها رسول الأمم؟ اعطنا معلماً من نفس مستوانا إن كنت ترغب فى تعليمنا وتلمذتنا» ، قدم امبروسيوس مثالاً حديثاً حتى يعلم الجميع أن الرسول بولس ليس معلماً لواحدة فقط بل لكثيرات أخريات .

فقد كان فى أنطاكية عذراء تحاشت أن تراها عيون الناس فى الأماكن العامة ، متجنبة نظرات الرجال الذين اشتاقوا كثيراً وتطلعوا إلى الإقتران بها ، وخشية أن يتمادوا فى الإشتعال بشهوتهم ، كانت تعترف علانية برغبتها فى حفظ بتوليتها ومن ثم تطفئ بأقوالها لهيب الأشرار .

ولكن الإضطهاد ثار ضدها ، ولم تعرف العذراء أين تذهب ، وكان كل خوفها أن تقع فى أيدى الذين خططوا ضد عفتها ، ولذلك هيأت نفسها لفضيلة بطولية ، إذ كان

لها إيمان بلغ حد الاستهتار بالموت ، ورجاؤها العظيم جعلها تنتظره ، حتى أتى يوم إكليلها ، واحضروا البتول التى أعلنت أمام الجميع إيمانها وعفتها ، وحينما تأكدوا من إصرارها على إعترافها وخشيتها على حشمتها واستعدادها لتحمل العذابات ، عقدوا العزم على إجبارها للتخلى عن إيمانها وذلك بالقضاء على بتوليتها ، لذلك صدر الحكم بإيداعها بيتاً سيء السمعة ، إن هى رفضت السجود للأوثان .

لقد ساقوا العذراء إلى بيت الخزى لكن البتول تظل فى أى مكان عروس للمسيح وهيكل لله ، فلم تقدر بيوت الخزى أن تؤذيها أو تؤذى عفتها بل عصفت عفتها بالبيت الرديء السمعة .

اندفع إلى المكان جمع غفير من رجال محترقين بالشهوة الرديئة ، أما هى فقد رفعت يديها نحو السماء ، كأنها جاءت إلى بيت للصلاة وليس إلى مستنقع شهوات ، وصرخت قائلة:

«أيها الرب يسوع المسيح ، يا منْ روضت الأسود المفترسة من أجل البتول دانيال (دا ٦ :٢٢) اسمح الآن ايضاً يا رب أن تروض أفكار هؤلاء الرجال... لقد صارت النار كالندى حول أجساد الفتية الثلاثة العبرانيين (دا ٣ :٢٧) ووقف الماء يخدم اليهود (خر١٤ :٢٢) وصار لهم سوراً عن يمينهم وعن يسارهم ، كرحمتك لا كطبيعته ، لقد ركعت سوسنة تنتظر عقابها لكنها انتصرت على الذين إتهموها بالزنى ، لقد يبست اليد التى امتدت نحو مذبحك لتعصف به ، وتدنس ذخائر هيكلك المقدس (١مل١٣ :٤) وها هو هيكلك الآن قد أوشكوا أن يدنسوه ، فلا تسمح أن ينتهكه أحد ، أنت الذى لا يسلبك أحد ، فليتمجد اسمك الآن حتى أننى ، وقد سلمونى إلى الخزى ، اخرج بتولاً» .

وما أن انتهت من صلواتها حتى اقتحم المكان رجل تبدو عليه سمات محارب جسور ، فارتعد الحاضرون ، أما هى فلم تنسى ما قرأته وقالت: «ذهب دانيال ليشاهد عقاب سوسنة لكنه وحده أثبت براءتها» وتساءلت: «قد يختفى خروف فى هيئة هذا الذئب ، وللمسيح ايضاً جنوده ، فهو قائد الطغمات الملائكية (مت٢٦ :٥٣) أو ربما هو الجلاد الذى ينفذ حكم الإعدام!! فلا تخافى يا نفسى لأن مثل هذا يصنع الشهداء» .

ويمضى امبروسيوس فى حديثه الشيق فيروى أن الجندى قال لها «لا تخافى يا أختى ، أرجوك ، فأنا كأخ لك أتيت لأنقذ حياتك ، لا لأهلكها... فلنستبدل ثيابنا لأن الذى لى يناسبك والذى لك يناسبنى وكلانا للمسيح ، ثوبك سيجعلنى جندياً حقيقياً ، أما ثوبى فسيجعلك عذراء حقيقية للمسيح ، ارتدى ملابسى حتى لا يتعرف عليك أحد أما أنا فلن أرتدى شيئاً حتى يعرفنى المضطهدون ، خذى الثوب الذى يخفى مظهرك كعذراء واعطنى الثوب الذى يقدسنى كشهيد ، خذى والبسى العباءة التى تخفى أطراف البتول وتحفظ عفتها وحشمتها ، خذى غطاء الرأس الذى يغطى شعرك ويستر طهرك ، وعندما تخرجين احرصى ألا تنظرى إلى الوراء ، وتذكرى إمرأة لوط (تك١٩ :٢٦) التى فقدت طبيعتها نفسها حينما نظرت للوراء إلى ما هو دنس ونجس حتى بعيون طاهرة عفيفة!! لقد خدمت الخدمة الصالحة التى للعفة التى جعالتها الحياة الأبدية ، لقد لبست درع البر الذى يحمى الجسد بالسلاح الروحانى ، وأخذت ترس الإيمان الذى به تدفعين عنك الجراح ، ولبست خوذة الخلاص (أف٦ :١٤-١٧) لأنه حيث يوجد المسيح ، يوجد دفاع عن خلاصنا ، إذ كما أن الرجل رأس المرأة ، هكذا المسيح رأس العذراء البتول» .

ثم خلع الفارس عباءته ـ وكان هذا الرداء يلبسه الزناة والمضطهدون ـ وقدمه للعذراء...

ويعلق امبروسيوس بتأملاته العميقة قائلاً: «يا له من مشهد! يا له من إعلان عن النعمة أن شاباً وشابة استعدا للإستشهاد داخل بيت سئ السمعة!! تأملن تلك الصفات: جندى وعذراء هل بينهما إتفاق فى طبيعتهما؟ لكنهما صارا متفقين برحمة الله ، كى يتحقق المكتوب أن الحمل والذئب يرعيان معاً (أش٦٥ :٢٥) وها هوذا الحمل والذئب لا يرعيان فقط معاً بل يقدمان ذبيحة معاً!! وبعد أن استبدلت (العذراء) رداءها هربت من الإثم لا بجناحين من عندها ، بل قد أُعطيت جناحين روحانيين ، وفى مشهد لم يره أحد من قبل تركت بيت الخزى عذراء ، عذراء للمسيح» .

أما الذين كانوا يحدقون بأعينهم الشريرة فلم يروها وهى تخرج ، إذ كانوا كلصوص حول الفريسة ، أو كذئاب حول حمل!! أما التى بلا خزى فقد خرجت من وسطهم ، لكن سرعان ما عرف الحاضرون بأمر الجندى الذى ساعد العذراء على الهرب ، فصدر

الحكم بموته بدلاً من العذراء التى سهل هروبها ، ولكن ما إن علمت العذراء بذلك حتى ذهبت لتنال إكليل الشهادة ، ولما عاتبها الجندى قالت: «لم اقبل أن تنقذنى من الموت لتموت أنت بل لأحافظ على عفتى ، ولست أسألك أن تسدد عنى الدين فأنا مستعدة أن أوفيه بحياتي ، ولن أقبل أن تموت عنى ، فلأمت بريئة بدلاً من موتى مذنبة ، فلا تسمح أن أدان بموتك بل أن أتبرر باستشهادى... فالعذراء تقبل أن تقطع أوصالها عن أن تؤذى عفتها ، تقبل أن تجرح فى جسدها عن أن تجرح فى كرامتها بالمهانة والخزى ، أنا لا أتحاشى الإستشهاد بل أهرب من الخزى ، إن أنت قبلت الموت عنى فلست تنقذنى بل تخدعنى ، لا تحاول إعاقتى عن تنفيذ هذا الحكم فىّ ، لأنك إن اعقتنى ستكون قد حكمت علىّ بميتة أشر وأمر على نفسى بين الأشرار الذين يريدون إلتهامى ، فلا تسمح لعفتى أن تتهدد بالخطر ، وسوف تكرّم أكثر إن أنت جعلتنى شهيدة أفضل من أن أموت زانية» .

ويختتم امبروسيوس هذه البطولة الروحية:

«ماذا تعتقدون كانت النهاية؟ لقد حُكم على الإثنين بالموت ! الإثنان أُدينا! وكلاهما نال النصرة ، لم يقسم الإكليل بل صار الإكليل إكليلين... هكذا الشهداء يحثون بعضهم على الإستشهاد من أجل إكليل الحياة الأبدية» .

الكتاب الثالث

يتحدث القديس امبروسيوس فى الكتاب الثالث عن ليبريوس أسقف روما (٣٥٢-٣٦٦م) حينما سلّم مارسلينا (أخت القديس امبروسيوس) زى الرهبنة ، ففى يوم ميلاد المخلص ، وفى كنيسة القديس بطرس ، تقدمت مارسلينا للتكريس ونذر البتولية «وأى يوم أعظم من ذاك الذى استقبلت فيه العذراء وليدها الإلهى؟» وكانت هناك عذارى كثيرات واقفات حول مارسلينا يتنافسن على مرافقتها ، وقال لها الأسقف: «لقد اشتهيت يا ابنتى عرساً صالحاً» .

ثم وصف الحشود التى جاءت لتشاركها فى يوم عرسها ويوم ميلاد عريسها ، وكيف أن أحداً منهم لم يمضى بدون طعام ، لأن العريس هو ذاك الذى حينما دعى إلى

العرس حول الماء إلى خمر (يو٢ :٩) وهو ايضاً يهب سر البتولية الطاهرة ، ويجدد الطبيعة التى كانت مادية جسدانية ، وهو ذاك الذى أطعم أربعة ألاف فى البرية بخمس خبزات وسمكتين (لو٩ :١٣) وقد دُعى كثيرين وكثيرات لحضور حفل عرسها .

ويتحدث القديس عن الفضائل التى يجب أن تتحلى بها العذراء وهى:

١) **تجنب الخمر والشراهة** : فيحث امبروسيوس العذارى على تجنب الخمر الذى يشعل الشهوات الشبابية الجسدانية ، وعلى الإكثار من الأصوام التى كلجام تكبح جماح الشهوات ، ويدعوهن ليحكمن ويثبتن الرجاء وليملأن قلوبهن بالمخافة ، «لأن الذى لا يعرف كيف يضبط شهواته ورغباته ، يشبه رجلاً يمتطى جواداً برياً جامحاً يطرحه أرضاً ويدهسه ويجرحه»... وكذلك يجب أن تقلل العذارى من الأكلات الحريفة التى تلهب الجسد .

٢) **الحشمة والصمت** : يعلم أسقف ميلان العذارى أن يقللن من زيارتهن سواء للأهل أو لغيرهم ، لأن الحديث والكلام يضر الإحتشام ، والجرأة تشوهه ، والضحكات تزحف إليه فتفسده ، والأدب واللياقة مطلوب وضرورى ، وعدم إجابة سؤال أحد هو تصرف طفولى لا يليق ، والإجابة ايضاً تصرف لا يليق إذا اتسمت بالثرثرة! لذلك ينصح القديس العذارى أن يكون حديثهن تحت إلحاح الضرورة فقط ، لأنه ما دامت النساء قد أوصين بعدم التحدث فى الكنائس حتى عن الأمور الإلهية ، فكم بالحرى يكون إحتراس العذارى اللائى يوقرن الإحتشام والصمت والسكون .

٣) **الأصوام** : يمتدح القديس فى أخته أصوامها الكثيرة ، ولكنه يعلّم العذارى أن هذه الأمور تناسب السنوات التى فى شباب العمر ، لكن حينما تنتصر العذراء على جسدها ، يجب أن تقلل من أتعابها ونسكها لكى تحافظ على نفسها معلمة لصغيرات السن ، فإن الكرمة المثقلة بالأغصان كثيرة الثمار سرعان ما تنكسر إن لم تُقطف أثمارها من حين لآخر ، وتثبت للخلف حتى لا تنحنى تحت ثقل الثمر المتضاعف ، ولكن وهى صغيرة فلتنمو بالأثمار الكثيرة...

ويقدم القديس ايضاً مثل الزارع الصالح الذى يهتم بتفليح التربة وبحفظ الكرمة فى أحسن الأحوال ، ويحميها من الصقيع ويحرسها من الاحتراق بشمس منتصف النهار

اللافحة... «فهل أنت ايضاً ، يا من تجاهدين فى بتولية ، تبذرين حقلك بالبذار المختلفة ، مرة بالعمل المعتدل ، ومرة بالأصوام الكثيرة وبالقراءات والصلاة»... ويحث العذارى أن يتشبهن بالزارع الصالح فيتجنبن تشقق تربتهن بالأصوام الكثيرة المبالغ فيها التى تشبه محراث ثقيل يتعب التربة... ويقول امبروسيوس: «ليتفتح البنفسج وليرتوى من نبع الدم المقدس ، وهناك قول شائع يقول أن ما تريد أن تنجزه بوفرة وإفراط ، أحياناً لا تفعله على الإطلاق ، وإن كان البعض منكن يزيد على الصوم الأربعينى أياماً أخرى يصمن فيها ، فليكن ذلك من أجل الإيمان لا للتباهى والتفاخر» .

٤) **الصلاة** : يمدح اسقف ميلان الصلاة لأنها تربطنا بالله ، فإذا كان النبى يقول «سبع مرات فى اليوم سبحتك» (مز١١٩ :١٦٤) حتى وهو مشغول بشئون المملكة ، فكم يليق بنا نحن أن نفعل؟ نحن الذين نقرأ: «اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة» (مت٢٦ :٤١) .

وينصح القديس بأن تُقام الصلوات المعتادة مصحوبة بالشكر الذى نرفعه لله عندما ننهض من النوم ، وحينما نرجع من العمل وحينما نستعد لتناول الطعام وبعد الإنتهاء منه .

وكذلك يحث العذارى أن يصلين فى مخادعهن بالمزامير دوماً مع الصلاة الربانية ، حتى يتحررن من الإهتمامات العالمية ويتأملن فى أمور الله ، وكذلك ينصحهن بترديد قانون الإيمان كختم على قلوبهن يومياً قبل طلوع النهار وأن يرددنه سراً إذا تعرضن للخوف من أى شئ ، «لأن الجندى فى خندقه والمقاتل فى موقعه لا يمكن أن يتجرد من قسمه الذى يحافظ على ترديده باستمرار» .

الفصل الخامس

القديس چيروم

«الرسالة إلى استوكيوم»

LETTER TO EUSTOCHIUM

يستهل القديس چيروم رسالته بقول المزمور: «اسمعى يا بنت واميلى أذنك وانسى شعبك وبيت أبيك فيشتهى الملك حسنك» (مز٤٥: ١٠- ١١) ففى هذا المزمور يتحدث الله إلى النفس البشرية التى يجب أن تخرج ـ على مثال ابراهيم ـ من أرضها وأهلها وتسكن فى أرض الأحياء ، تلك التى يتنهد لأجلها المرنم فى موضع آخر قائلاً: «آمنت أن أرى جود الرب فى أرض الأحياء» (مز٢٧: ١٣) .

لكن لا يكفى الخروج من الأرض ما لم ينس الإنسان أهله وبيت أبيه ويبغض الجسد ، وينبه چيروم استوكيوم إلى أنه من غير النافع أن الإنسان بعد أن يضع يده على المحراث ينظر إلى الوراء ، أو يعود إلى البيت من الحقل ، أو بعد أن لبس عباءة المسيح ينزل من السطح ليرتدى ثوباً آخر .

وإذا تساءل البعض عن الجعالة التى يجنيها من تركه لبيت الطفولة ونسيانه لأهله ، يجيبه چيروم شارحاً أن الكتاب المقدس يقول «من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بإمرأته ويكون الإثنان جسداً واحداً» (أف٥: ٣١) ، فهذه هى البتولية لكن ليس كما فى النص جسد واحد ، بل هى زيجة روحية مع الرب فى روح واحد .

ويحدث چيروم استوكيوم عن جمال عريسها فيقول أنه ليس مغروراً أو متكبراً بل لقد تزوج امرأة كوشية (قارن عد١٢: ٢) ولكن «ما إن ترغبى أن تستمعى لحكمة سليمان الحقيقى وتأتى إليه حتى يكشف لك كل ما يعرفه ، ويقودك الملك إلى حجاله ، وعندما يتغير لونك بطريقة عجيبة سينطبق عليك القول: من هذه الطالعة من البرية؟ (نش٨: ٥)»

وباتضاع ومحبة يقول چيروم «اكتب هذا إليك يا سيدتى استوكيوم ـ ولابد أن أدعوك سيدتى لأنك عروس سيدى ـ كى من بداية رسالتى تعلمين أننى لن أتحدث فى مديح البتولية ولن أعدد عيوب الزواج ، لأن للنساء مكانتهن: زواج مكرم ومضجع غير نجس (عب١٣ :٤)» ويحذرها أنها بينما تخرج من سدوم يجب أن يكون مصير زوجة لوط تحذيراً لها .

ويطلب منها ألا يطغيها الكبرياء والعجب بسبب نذرها البتولى ، بل على العكس يجب أن تمتلئ بالمخافة ، ويقول: «فإذا كنت تسيرين محملة بالذهب ، لابد أن تكونى حذرة من اللصوص» وليس من أحد يسير وسط الحيات والعقارب دون قلق وحذر ، فنحن فى هذه الحياة الفانية لكى نجاهد ومن ثم نكلل فى الموضع الآخر ، ولا يمكن أن يظن الإنسان أن هناك سلاماً على الأرض التى تنبت شوكاً وحسكاً .

«فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة هذا العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع أجناد الشر الروحية فى السماويات» (أف٦ :١٢) وهكذا نحن محاطون بقوات العدو ، وفى كل موضع الكثير من الأعداء ، وجسدنا الضعيف يصارع وحده مع كثيرين ، لكن عندما ينحل هذا الجسد وعندما يأتى رئيس هذا العالم ولا يكون له فيه (أى فى الجسد) شئ ، عندئذ سيسمع هذا الجسد بلا هم كلمات النبوة: «لا تخشى من خوف الليل ولا من سهم يطير فى النهار ولا من وباء يسلك فى الدجى ولا من هلاك يفسد فى الظهيرة ، يسقط عن جانبك ألف وربوات عن يمينك ، وإليك لا يقرب» (مز٩١ :٥) .

لكن إذا تسببت كثرة الأعداء فى اضطراب الإنسان ويبدأ ينزعج بسبب حروب الخطية ويتساءل «ماذا أفعل؟» يجيبه إليشع: «لا تخف لأن الذين معنا أكثر من الذين معهم» ، وسوف يصلى قائلاً: «يارب افتح عينيه فيبصر» (٢ملو٦ :١٥) وعندما تنفتح عينيه سيرى مركبة نارية تحمله مثل إيليا ، فيرنم بفرح: «انفلتت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين ، الفخ انكسر ونحن انفلتنا» (مز١٢٣ :٧) .

ويؤكد القديس چيروم أننا مادمنا فى سجن هذا الجسد الضعيف ، ومادام لنا هذا الكنز فى أوان خزفية (٢كو٤ :٧) ، ومادامت الروح تشتهى ضد الجسد والجسد ضد

الروح ، ليس هناك انتصار مؤكد ، لأن عدونا الشيطان كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه (١بط٥ :٨) وداود يقول: «تجعل ظلمة فيصير ليل ، فيه يدب كل حيوانات الوعر الأشبال تزمجر لتخطف ولتلتمس من الرب طعامها» (مز١٠٤ :٢٠،٢١) .

إن الشيطان لا يطلب غير المؤمنين ولا هؤلاء الذين هم خارجاً ، بل يسرع ليصطاد ضحاياه من كنيسة المسيح ، فالمختارون ـ بحسب حبقوق ـ هم طعامه ، فقد سعى ليجرب أيوب ، وبعد أن افترس يهوذا ، طلب سلطاناً أن يمحص الرسل .

ويستمر چيروم فى حث استوكيوم على اليقظة والصحو الدائم ، ويقدم لها بولس الرسول مثلاً وقدوة ، فإذا كان بولس وهو إناء مختار (أع٩ : ١٥) ومستعد لإنجيل المسيح ، يقمع جسده ويستعبده (١كو٩ :٢٧) لئلا بعدما كرز للآخرين يصير هو نفسه مرفوضاً ، ومع هذا كله يرى ناموساً آخر فى أعضائه يحارب ناموس ذهنه ويسبيه إلى الخطية (رو٧ :٢٣) وإذا كان بعد العرى والصوم والجوع والسجن والضربات والعقوبات يتنهد قائلاً: «ويحى أنا الإنسان الشقى ، من ينقذنى من جسد هذا الموت» (رو٧ :٢٤) فهل يجب أن نظن نحن أننا فى أمان؟

ويطلب چيروم منها قائلاً: «ارجوك أن تحترسى لئلا يقول لك الله يوماً: سقطت عذراء اسرائيل لا تعود تقوم ، انطرحت إلى الأرض ليس من يقيمها (عا٥ :٢) أنا أتحدث بجرأة: رغم أن الله يمكن أن يفعل كل شئ ، إلا أنه لا يستطيع أن يقيم عذراء بعد سقوطها ، وبالرغم من أنه يستطيع أن يحررها من المجازاة والعقوبة ، إلا أنه لا يستطيع أن يكلل من قد فسد» .

ويعلمها چيروم أن علينا أن نخاف لئلا يتحقق قول الكتاب «تذبل بالعطش العذارى الجميلات» (عا ٨ :١٤) لأن هناك ايضاً عذارى جاهلات رديئات ، والكتاب المقدس يقول: «كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه» (مت٥ :٢٨) فالبتولية إذاً يمكن أن تفقد حتى بالفكر ، وهؤلاء هن العذارى الجاهلات ، عذارى فى الجسد لكن ليس فى الروح ، اللائى إذ ليس لهن زيتاً اغلق العريس الباب أمامهن .

ويرى القديس أنه من الأفضل للعذراء أن تتزوج برجل عن أن تسقط فى أعماق الجحيم بمحاولتها أن تنال المراقى العالية ، ويخاطب استوكيوم «أرجوكِ لا تجعلى مدينة

صهيون المؤمنة تصير زانية ، لئلا بعد أن نالت حماية الثالوث ، ترقص فيها الشياطين ويجعلون عششهم فيها» .

وينصحنا چيروم مع استوكيوم أنه ما إن تبدأ الشهوة تهاجم الحواس ويبدأ بريقها المغرى يؤلمنا ، يجب أن نصرخ «الرب لى فلا أخاف ، ماذا يصنع بى الإنسان؟» (مز١١٨ :٦) وإذا اضطرب الإنسان الباطنى وتذبذب بين الفضائل والخطايا ، يجب أن نقول: «لماذا أنت منحنية يا نفسى ، ولماذا تئنين فىّ ، ترجى الله لأنى بعد أحمده ، خلاص وجهى وإلهى» (مز٤٢ :١١) ولا ندع شيئاً من بابل ينمو داخلنا بل نهلك العدو وهو بعد صغير أى فى بداياته ولذلك يقول المرنم: «يا بنت بابل المخربة ، طوبى لمن يجازيك جزاءك الذى جازيتنا ، طوبى لمنْ يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة» (مز١٣٧ :٨،٩) لأنه من المستحيل أن تنجو حواس الإنسان من حروب الشهوة ، ومبارك هو ذاك الذى ما إن تبدأ هذه الأفكار فى النمو حتى ينزع كل خيالاته وتصوراته ويحطمها على الصخرة «والصخرة كانت المسيح» (١كو١٠ :٤) .

ويروى چيروم بعضاً من الحروب والتجارب التى أتت عليه أثناء إقامته فى البرية ، فبينما كان مقيماً فى وحدة شاسعة تحت الشمس الحارقة ، كثيراً ما كان يظن أنه وسط مباهج روما!! كان جسمه مغطى بقسوة بالمسوح الخشنة ، وصار لبشرته شكل الجسد الأثيوبى الأسود ، وكان يبكى كل يوم وينوح ويأن ، وعندما كان يغلبه النوم ، كان ينام على الأرض العارية ، وكان يعتبر تناول الطعام المطبوخ ترفاً ، ويشرح أنه هو الذى حكم على نفسه بهذا السجن خوفاً من الجحيم ، ولم يكن له رفقاء سوى العقارب والحيوانات وبالرغم من ذلك كله كان يحاط كثيراً ببنات راقصات ، ويقول «كانِ وجهى شاحباً من الصوم ، وعقلى ملتهباً بالشهوة فى جسد بارد كالثلج» ورغم أن جسده كان ميتاً ، إلا أن نيران الشهوات ظلت تتأجج داخله .

ويستطرد چيروم راوياً أنه اعتاد ، عندما كان بلا أى رجاء ، أن يلقى بنفسه عند قدمى يسوع ويغسلهما بدموعه ويمسحهما بشعر رأسه (لو٧ :٣٨) وعندما كان جسده يثور ، كان يقمعه ويخضعه بأسابيع من الأصوام ، «واتذكر أننى كثيراً ما واصلت النهار بالليل بسبب أحزانى ولم أكن أتوقف عن قرع صدرى حتى يعود إلىّ سلام الذهن بتوبيخ الرب» .

ويتساءل قائلاً أنه إذا كان المتوحدون يُحاربون بمثل هذه التجارب ، فكم يجب على العذراء أن تتحمل وهى التى يهددها الترف؟ لذلك يجب أن تتذكر قول الرسول «أما المتنعمة فقد ماتت وهى حية» (١تيمو٥ :٦) وينصح قارئته أن تحذر الخمر مثل السم ، لأن العدو داخلنا فحيثما نذهب نحمل عدونا معنا ، والخمر مع الشباب تلهب نيران الشهوات .

أما عن طعام العذارى ونسكهن ، فيجدن لهن أمثلة كثيرة فى الكتاب المقدس ، مثل الأنبياء إيليا وإليشع ودانيال ، وفى الكتاب المقدس العديد من المواضع التى تدين البطنة وتمتدح الطعام البسيط .

فالإنسان الأول طُرد من الفردوس إلى وادى الدموع لأنه أطاع بطنه وشهوته أكثر مما أطاع الله ، وبالجوع ايضاً جرب الشيطان الرب فى البرية ، والرسول يقول: «الأطعمة للجوف والجوف للأطعمة ، والله سيبيد هذا وتلك» (١كو٦ :١٣) ، وعن الشهوانيين يقول «إلههم بطنهم» (فى٣ :١٩) وفى الواقع «**كل إنسان يعبد ما يحب**» .

ويحذر چيروم استوكيوم أنها إذا قالت أنها سليلة أسرة نبيلة وتربت على الأطعمة الشهية والترف ، ومن ثم لا تستطيع الامتناع عن الخمر والأطعمة الفاخرة ، وأنها لا تستطيع أن تحيا بحسب قسوة ونسك هذه التدابير ، فإن العريس سيجيبها «طالما لا تستطيعى أن تعيشي بحسب ناموس الله ، عيشى إذاً بحسب ناموسك» ليس لأن الله خالق الكون وربه يسر بخواء معدتنا بل لأنه لا يمكن حفظ البتولية بأى وسيلة آخرى .

وينبهها چيروم أنه طالما أنها أول عذراء من الطبقات الراقية فى روما قبلت أن تحيا راهبة ، يجب أن تجاهد بحماسة أكبر لئلا تخسر الجعالات الحالية والمستقبلية ، ويجب ألا تختلط بالسيدات المتزوجات ويجب ألا تزور البيوت الراقية المتميزة ، وإذا كانت النساء يفتخرن بأن أزواجهن قضاة ومكرمين برتبة عالية «لماذا تهينين أنت زوجك؟» فهى عروس لله ويجب أن تعلم أنها أفضل منهن... أما رفيقاتها فهن النساء اللائى صرن نحيفات من الصوم ، اللائى يرنمن يومياً فى قلوبهن «أين ترعى أين تربض عند الظهيرة؟» (نش١ :٦) واللاتى يقولن بمحبة «لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح» (فى١ :٢٣) .

ويحثها على الاقتداء بعريسها ، فلا تخرج كثيراً ، ويكون طعامها معتدلاً ، وعندما تنهض فى الليل للصلاة يكون الجوع ـ وليس سوء الهضم ـ هو الذى يؤثر على تنفسها وينصحها أن تقرأ كثيراً بقدر استطاعتها ، وأن تدع النوم يغلبها وهى ممسكة بكتاب بين يديها ، وأن تجعل الاصحاحات المقدسة تستحوذ على ذهنها بينما هى تغفو ، أما الصوم فضرورة يومية للعذراء لأن «الأرض المروية تنبت أشواك الخطية» .

ويستطرد كاتبنا شارحاً أنه من الصعب على النفس البشرية ألا تحب ، فمن الضرورى أن ينجذب عقلنا إلى نوع ما من المحبة ، ومحبة الجسد لا تهزمها إلا محبة الروح ، فالشهوة تطفئها شهوة أخرى ، وكل ما ينقص فى الواحدة يزيد فى الأخرى ، ولذلك على العذراء أن تنوح دوماً وتقول: «فى الليل على فراشى طلب من تحبه نفسى» (نش٣:١) لأن الرسول يقول «اميتوا أعضاءكم التى على الأرض» (كو٣:٥) وقال ايضاً بثقة «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ» (غلا٢:٢٠) .

وكل من يميت أعضاءه ويسير بحسب مثال بولس الإلهى لا يخشى أن يقول «صرت كزق فى الدخان» (مز١١٩:٨٣) وايضاً «ركبتاى ارتعشتا من الصوم» (مز١٠٩:٢٤) وكذلك «سهوت عن أكل خبزى ، من صوت تنهدى لصق عظمى بلحمى» (مز١٠٢:٥) .

فلابد أن تعوم سريرها كل ليلة بدموعها (مز٦:٧) وتكون مستيقظة وحيدة كعصفور (مز١٠٢:٧) وترتل بروحها وايضاً بذهنها (١كو١٤:١٥) قول المزمور «باركى يا نفسى الرب ولا تنسى كل حسناته ، الذى يغفر جميع ذنوبك ، الذى يشفى كل أمراضك ، الذى يفدى من الحفرة حياتك» (مز١٠٣:٢) .

ويؤكد أنه فى مدحه للبتولية لا ينتقص من كرامة الزواج ، بل يفضل البتولية عنه ، فالله يقول «اثمروا واكثروا واملأوا الأرض» (تك١:٢٨) .

لقد كانت حواء عذراء فى الفردوس ، وبعد ثوب الجلد بدأت الحياة الزيجية ، **فالفردوس هو المكان الذى تنتمى إليه العذارى** ، ويشجعها چيروم قائلا لها أن تستمر كما وُلدت وأن تقول «ارجعى يا نفسى إلى موضع راحتك لأن الرب قد أحسن إليك» (مز١١٦:٧) والدليل على أن البتولية هى الحالة الطبيعية للإنسان وأن الزواج جاء بعد

التعدى هو أن الجسد الذى يُولد من الزواج يكون بتولاً لكى نستعيد فى الثمرة ما قد فُقد فى الجذر .

وببراعة أدبية يقول كاتبنا أنه يمتدح الزواج ، لكن يمتدحه لأنه يقدم له عذارى ، فهو يجمع الورد من بين الأشواك ، الذهب من الأرض ، اللؤلؤ من المحار ، ويخاطب هنا الأمهات اللائى يرفضن أن يدعن بناتهن تكرسن حياتهن للعريس السمائى ، فالزواج يُكرم أكثر عندما تكون ثمرته محبوبة أكثر ، ويقول للأمهات «هل أنت غاضبة لأنها لا تريد أن تكون عروس لجندى بل ستصير عروساً للملك؟ لقد وهبتك كرامة عظيمة: أن تكونى حماة الله» .

إن الرسول يقول: «وأما العذارى فليس عندى أمر من الرب فيهن» (١كو٧:٢٥) لماذا؟ لأنه هو ايضاً كان بتولاً ، ليس رغماً عنه بل بإرادته الحرة ، ويتساءل چيروم لماذا لم يأخذ الرسول أمراً من الرب بخصوص البتولية ، ويجيب بأن ما يُقدم بالارادة الحرة وليس بالاجبار تكون له قيمة أعظم ، فلو كان هناك أمر بالبتولية ، لبدا الأمر كأن الزواج ممنوع ، ومن الصعب جداً أن نفرض ما هو ضد الطبيعة ونطلب من البشر حياة الملائكة .

فى العهد القديم ، كان هناك مفهومات متعددة عن الغبطة والسعادة ، «بنوك مثل غروس الزيتون حول مائدتك» (مز١٢٧:٣) أما الآن فالقول هو «لا يقل الخصى ها أنا شجرة يابسة لأنه هكذا قال الرب للخصيان الذين يحفظون سبوتى ويختارون ما يسرنى ويتمسكون بعهدى إنى أعطيهم فى بيتى وفى أسوارى نصباً واسماً أفضل من البنين والبنات» (اش٥٦:٣-٥) فان الفقير مطوب ، والعازر مفضل عن الغنى ، الآن الضعيف هو الأقوى .

لقد كان الأبناء بركة فى العهد القديم ، ولذلك تزوج ابراهيم بعد أن تقدم فى الأيام من قطورة (تك٢٥:١) ، ولذلك اشتكت راحيل من إنغلاق رحمها ، لكن البتولية نمت بالتدريج ، وهكذا كان إيليا بتولاً ، وكان إليشع بتولاً ، وكان الكثير من أبناء الأنبياء بتوليين ، ولأرميا قيل «لا تتخذ لنفسك امرأة» (أر١٦:٢) فإذ قد تقدس فى الرحم ، منع من أن يتخذ لنفسه امرأة لأن زمان السبى قد اقترب .

والرسول يقول نفس الأمر بكلمات أخرى «فأظن أن هذا حسن لسبب الضيق الحاضر أنه حسن للإنسان أن يكون هذا» (١كو٧:٢٦) ولكن أى ضيق هذا الذى ينزع أفراح الزواج؟ إنه قصر الوقت «الوقت منذ الآن مقصر لكى يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم» (١كو٧:٢٩) .

ويستمر چيروم فى شرح تدرجية البتولية من العهد القديم إلى الجديد ، ففضيلة البتولية كانت موجودة فقط فى الرجال ، وظلت حواء تلد أطفالاً بالحزن (تك٣:١٦) لكن بعدما حبلت عذراء فى رحمها وولدت لنا ابناً على كتفيه الرئاسة ، الله القدير ، زالت اللعنة .

فبحواء جاء الموت ، وبمريم اشرقت الحياة ، ولذلك انسكبت على جنس حواء نعمة بتولية أغنى لأن الحياة ابتدأت بامرأة ، وما إن وطئ ابن الله الأرض بقدمه حتى أقام لنفسه أسرة جديدة حتى «كما أن الملائكة تعبده فى السماء ، كذلك يكون له ملائكة على الأرض» .

ثم جاء يعقوب ويوحنا اللذين تركا أباهما وشباكهما والمركب وتبعا المخلص ، فتركا رباطات الدم ومسئوليات هذا العالم واهتمامات بيتهما ، وللمرة الأولى كانت الدعوة «إن أراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى» (مت١٦:٢٤) فليس هناك جندى يذهب إلى المعركة ومعه زوجة ، والتلميذ الذى طلب أن يذهب ويدفن أباه ، لم يُسمح له بذلك «للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار ، أما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه» (مت٨:٢٠) .

وينصح چيروم العذارى بقراءة كتب العلامة ترتليان عن البتولية ، والكتاب الرائع الذى وضعه القديس كبريانوس أسقف قرطاجنة ، وكتابات القديس أمبروسيوس أسقف ميلان التى وضعها لأجل أخته (*) .

ويشبه عذراء المسيح بتابوت العهد ، مغطاة بالذهب من الداخل والخارج ، حارسة لناموس الرب ، وكما أنه لم يكن فى التابوت إلا لوحى العهد ، كذلك يجب على

(*) هذه الكتابات التى يتحدث عنها القديس چيروم هى عينها التى قدمنا عرضاً لها فى الفصلين الثانى والرابع .

العذارى ألا يتركن داخلهن أى أفكار خارجية ، إذ أنه فى هذا الموضع يريد الرب أن يجلس كما يجلس على الشاروبيم .

لقد أرسل الرب تلاميذه لكى يحلوها (أى العذراء) من الاهتمامات العالمية ، كما حلوا الجحش (الذى ركبه فى دخول أورشليم) ، ولذا يجب أن تترك طوب وقش مصر وتتبع موسى فى البرية حتى تدخل أرض الموعد ، لكن يجب ألا تدع أحداً يعيقها أو يمنعها ، لا أم ولا أخت ولا قريبة ولا أخ ، لأن الرب يحتاجها ، لكن إذا ارادوا أن يمنعوها ، لتجعلهم يخافون من الضربات التى نزلت بفرعون لأنه لم يرد أن يطلق شعب الله ليعبدوه .

إن يسوع عندما دخل الهيكل ألقى خارجاً كل شئ لا يخص الهيكل (مت٢١ :١٢ وما بعدها) لأن الله غيور (خر٢٠ :٥+٣٤ :١٤) ولا يريد أن يتحول بيت الآب إلى مغارة لصوص ، إذ حيثما تحصى النقود وتوجد أقفاص الحمام وتذبح البساطة ، ينهض العريس غاضباً قائلاً: «هوذا بيتكم يترك لكم خراباً» (مت٢٣ :٣٨) .

ويشرح أن العذراء عندما تصلى تتحدث إلى عريسها ، أما عندما تقرأ ، فعريسها هو الذى يتحدث إليها .

ويحذرها من البخل ويحثها على الصدقة مؤكداً على أهمية الصلوات وبالأخص صلوات السواعى ، مع تجنب الغنى .

وبأسلوب بليغ يقول أن ليس شيئ صعباً على المحبين ، ليس من جهد صعب على ذاك الذى يشتاق بحرارة ، وكما تحمل يعقوب لأجل راحيل «فخدم يعقوب براحيل سبع سنين وكانت فى عينيه كأيام قليلة بسبب محبته لها» (تك٢٩ :٢٠) فلنحب نحن ايضاً المسيح ولنطلب أحضانه على الدوام وسنجد أن الأمر الصعب قد صار سهلاً «ملكوت الله يغصب والغاصبون يختطفونه» (مت١١ :١٢) وإذا لم نتغصب فلن نأخذ ملكوت السموات .

واخيراً يتخيل چيروم يوم مجازاة العذارى فى السماء ، وكيف سيكون ذلك اليوم ، عندما تأتى العذراء مريم أم الرب لتقابل استوكيوم فى السماء ، وبصحبتها خورس من العذارى ، عندما تطير تكلة فرحة إلى ذراعيها ، عندئذ سيأتى عريسها نفسه ليقابلها....

الفصل السادس

القديس أغسطينوس

«عن البتولية»

ON VIRGINITY

بعد أن ضع القديس كتاباً عن «صلاح الزواج *On The Good of Marriage*» ونصح فيه عذارى المسيح أن لا يحتقرن ـ بسبب عطيتهن العظمى التى أُعطيت لهن ـ أبـاء وأمهات شعب الله ، وأن لا يعتقدن أن الذين خدمـوا المسـيح ، ولو حـتى بإنجـاب الأبـناء ، هم أقل إستحقاقاً منهن ، رغم أن «العفة الإلهية مفضلة عن حياة الزيجة والبتولية التقية عن الزواج»...

بعد ذلك وضع القديس أغسطينوس كتابه عن البتولية الذى يطلب فى مقدمته من المسيح المولود من عذراء ، عريس العذارى ، المولود من جسد رحم بتول ، والمتزوج بحسب الروح زواجاً عذراوياً أن يعينه فى حديثه ويسنده بنعمته .

ويتساءل القديس: إذا كانت الكنيسة كلها عذراء مخطوبة لرجل واحد الذى هو المسيح ـ كما يقول القديس بولس الرسول ـ فكم عظيمة هى الكرامة التى لأعضائها الذين يحفظون هذا (العذراوية) حتى فى الجسد نفسه ، هذا الذى تحرسه الكنيـسة كلها فى الإيمـان؟ ويرى أن الكنيـسـة تقتدى بأم عريسـها وسـيدها لأن الكنيـسة ايـضاً أم وعـذراء .

ويرى أسقف هيبو أن القديسة مريم قد ولدت رأس الجسد بحسب الجسد ، والكنيسة تلد أعضاء هذا الجسد ، وفى الحالتين لا تعوق البتولية الإثمار ولا الإثمار يعوق البتولية ، ومع أن الكنيسة كلها مقدسة فى الجسد والروح ، إلا أنه ليس الجميع بتوليين فى الجسد بل فى الروح ، فكم عظيمة هى قداسة الأعضاء التى هى عذراء ليس فقط

بحسب الروح بل وحسب الجسد ايضاً!!

ويجب أن لا تحزن عذارى الله لأنهن ـ بسبب بتوليتهن ـ لا يستطعن أن يكن أمهات بحسب الجسد «لأن البتولية تلده هو وحده الذى ليس له نظير فى ميلاده» أى السيد المسيح له المجد ، وولادة العذراء للمسيح هى زينة كل العذارى ، وهن أنفسهن «أمهات للمسيح مع مريم إذا فعلن مشيئة أبيه» وقد قال السيد له المجد «من يصنع مشيئة أبى الذى فى السموات هو أخى وأختى وأمى» (مت٢٢ :٤٦-٥٠).. وأم المسيح هى الكنيسة كلها لأنها تلد أعضاءه أى المؤمنين به ، وأمه ايضاً هى كل نفس تقية تصنع مشيئة أبيه بمحبة مثمرة جداً... فالعذراء مريم إذاً ـ بصنعها مشيئة الآب ـ هى بحسب الجسد أم المسيح فقط ، أما بحسب الروح فهى أمه وأخته..

ويشرح ابن الدموع التائب كيف أنه كان ينبغى أن يُولد رأسنا ، بحسب الجسد ، بمعجزة فائقة من عذراء حتى يعلن بذلك أن أعضاءه ستُولد بحسب الروح من الكنيسة العذراء البتول... فمريم وحدها أم وعذراء فى الجسد والروح ، أم للمسيح وعذراء للمسيح ، أما الكنيسة فهى بكليتها أم للمسيح فى الروح ، وبكليتها ايضاً عذراء للمسيح فى الروح ، ولكن فى الجسد ليس بكليتها ، فالبعض عذارى للمسيح ، والبعض الآخر أمهات ولكن ليس للمسيح ، وفى الواقع ، النساء المؤمنات المتزوجات والعذارى المكرسات لله ، بحياتهن المقدسة ومحبتهن التى من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء «هن جميعاً بمعنى روحى أمهات للمسيح» ولكن هؤلاء اللاتى فى الزيجة ويلدن أبناء بحسب الجسد ، لا يلدن المسيح بل آدم ولكن عندما تصطبغ ذريتهم هذه فى أسرار الكنيسة المقدسة تصير أعضاء مقدسة للمسيح...

ويعلن القديس أنه شرح ذلك «لكى لا يتجرأ الإثمار الزيجى وينافس العفة العذراوية» أو أن تقول المتزوجات للعذارى «إن مريم كان لها فى جسدها أمران يستحقان الكرامة: البتولية والإثمار (الإنجاب) ، فقد ظلت عذراء ومع ذلك حبلت وولدت ، ولأننا لا نستطيع أن نحظى بهذه السعادة كلها ، لذا قسمناها ، أنتن تكن عذارى ونحن أمهات ، وما ينقصكن من أبناء تكون بتوليتكن التى تحفظنها تعزية لكنّ عنه ، وبالنسبة لنا يكون ربح الأولاد تعزية وعوض لنا عن خسارتنا للبتولية...» .

ويرفض القديس هذا الفكر ويرى أن هذا الحديث يكون صحيحاً لو كانت الأمهات يلدن أبناء مسيحيين بحسب الجسد ، لكنهن لا يلدن أبناءهن مسيحيين ، فلكى يصيروا مسيحيين لابد أن يولدوا من الكنيسة لأنها أم أعضاء جسد المسيح والتى هى فى الوقت عينه عذراء .

لذا لا يمكن أن يُقارن أى إثمار للجسد بالبتولية المقدسة ، لأن البتولية لا تُكرم لمجرد كونها بتولية بل لأنها مكرسة لله ، ومع أنها تُحفظ فى الجسد ، إلا أنها تُحفظ بتكريس النفس ، وبهذا تكون بتولية الجسد روحية ، فكما أنه لا أحد يسئ استخدام جسده ما لم تكن الخطية قد حبل بها قبلاً فى نفسه ، كذلك لا أحد يحفظ عفة الجسد ما لم تكن العفة قد زرعت فيه وغرست قبلاً فى نفسه...

وينصح القديس بأن لا يظن أحد أن إثمار هؤلاء الذين لا يطلبون أى شئ من الزواج إلا الأبناء ليقدموهم للمسيح يمكن أن يعوض عن خسارة البتولية... وبينما كان الإنجاب نافعاً فى الأزمنة السابقة لمجئ المسيح، وكان هناك إحتياج إليه ، إلا أنه الآن ـ عندما يمكن أن تجمع أعضاء المسيح من كل جنس ومن كل أمة ومن كل قبيلة فى شعب الله ، فى مدينة ملكوت السموات ـ على كل من يستطيع أن يحفظ البتولية المقدسة أن يحفظها وليتزوج فقط هؤلاء الذين لا يستطيعون أن يضبطوا أنفسهم (مت١٩: ١٢+١كو٧: ٩) .

ويجب أن لا يقارن المتزوجون أنفسهم بالمتبتلين على أساس أن المتبتلين يُولدون منهم لأن هذا ليس صلاحاً من الزواج بل من الطبيعة كما رتب الله ، فلا تولد أية أنثى ـ سواء من زواج مقدس أو من زنى ـ إلا وهى عذراء ، لكن ليس عذراء قديسة ، إذاً «العذراء تولد حتى من الزنا ، ولكن العذراء القديسة ليس حتى من الزواج» .

يرى القديس أن الكنيسة هى أم جميع العذارى القديسات ، لأنه «لا أحد يستطيع أن يلد عذارى قديسات إلا عذراء قديسة ، تلك التى خطبت لتقدم عفيفة إلى رجل واحد الذى هو المسيح» (٢كو١: ٢)... والعفة والبتولية هى من نصيب الملائكة وهى عيش عدم الفساد فى الجسد القابل للفساد .

ويرى القديس أغسطينوس أن من ينظر إلى البتولية على أنها ضرورية من أجل العالم

الحاضر فقط وليس من أجل ملكوت السموات إنما هو مجرد من الحكمة ، ويرفض آراء من يقولون أن المتزوجين يتضايقون ويعانون من الهموم العالمية والدنيوية ، وأن العذارى يسترحن من هذه الأتعاب ، كما لو كان من الأفضل عدم الزواج لا لشئ إلا للراحة من أتعاب الزمان الحاضر وكأنه لا نفع للبتولية فى الحياة الأبدية .

ومع أن البتولية تحرر من أتعاب واهتمامات هذا العالم ، إلا أن هذا لا يعنى أن الزواج والاهتمام بأمور هذا العالم يحرم الإنسان من الملكوت ، كما لو كان الزواج خطية يمنعها أمر أو وصية ، ولكن الرسول قد رأى واعطى نصيحة وليس أمراً ، لأنه لو قدم أمراً لجلب الإدانة على من لا يطيعه ، فهو يقول « أما العذارى ليس عندى أمر من الرب فيهن» (١كو٧:٢٥) لأن كل من لا يطيع الأمر والوصية يصير تحت الدينونة ويكون مخطئاً ، ولكن لأنه ليس خطية أن يتزوجن (لو كان ذلك خطية لمُنع باستخدام «أمر») لذلك ليس هناك أمر من الرب بخصوص العذارى .

ويحثنا القديس أغسطينوس أن نسعى من أجل الحياة الأبدية حيث سيكون هناك مجد عظيم يُعطى ـ ليس لكل الذين سيحيون إلى الأبد ـ بل للبعض فقط ، ومن أجل أن ننال هذا المجد الفائق لا يكفى التحرر من الخطايا فقط ، بل أن ننذر لذاك الذى حررنا نذراً ليس خطية أن لا ننذره ، بل هو أمر يجلب المديح والثناء أن ننذره ونتممه .

ويعلق أسقف هيبو على قول القديس بولس: «أنت مرتبط بإمرأة فلا تطلب الإنفصال أنت منفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة» (١كو٧:٢٧) ويرى أن الرسول يقدم أمرين:

١) أمر: وهو ألا يترك الإنسان زوجته (إلا لسبب الزنا كما قال ربنا فى الإنجيل) ويجب أن ينفذ هذا الأمر وكل من يتعداه يخطئ .
٢) رأى: لمن هو منفصل عن إمرأة أن يظل هكذا ، ولأنه ليس وصية بل مجرد رأى لذلك لا تعد عدم طاعته خطية ولكن من الأفضل طاعته .

ويرى أن قول القديس بولس «لكن مثل هؤلاء يكون لهم ضيق فى الجسد ، وأما أنا فإنى أشفق عليكم» يوضح أن الرسول يحث وينصح بالبتولية ، ويحذر قليلاً من الزواج ، ليس كما من أمر شرير أو غير قانونى بل كما من عبء وإنشغال ، لأن الحديث عن خزى ودنس الجسد شئ ، والحديث عن الضيق فى الجسد شئ آخر ، فالأول خطية أما

الآخر فهو إنشغال يعانى منه الإنسان لكنه ليس خطية .

وبينما يحث أغسطينوس الرجال والعذارى أن يحيوا فى بتولية وعذراوية ، ينصحهم ألا يعتبروا الزواج شرّ أو خطية ، وأن يفهموا أنه لم يكن كذباً بل حقاً واضحاً أن الرسول قال: «من زوج فحسناً يفعل ومن لا يزوج يفعل أحسن» «ولكنك إن تزوجت لم تخطئ ، وإن تزوجت العذراء لم تخطئ» وبعد ذلك يقول: «لكنها أكثر غبطة إن لبثت هكذا بحسب رأيى» (١ كو٧ :٣٩) ويعلق القديس: «هذه هى عقيدة ربنا وعقيدة الرسل ، هذا حق ، هذا صحيح ، أن إختيار العطايا الأعظم لا يدين العطايا الأقل» ويعلم القديس المتبتلين أن كون الزواج ليس شراً لا ينقص من عظم البتولية ، بل يجب أن تثق العذراء أن لها إكليل أعظم .

ويتحدث القديس عن إتجاهين بخصوص البتولية والزواج:

الإتجاه الأول: يفسر قول الرسول «لكنى أظن أنه حسن من أجل الضرورة الحاضرة» كما لو كانت البتولية نافعة فقط من أجل الحياة الحاضرة وليس من أجل ملكوت السموات ، وكما لو أن هؤلاء الذين اختاروا هذه الحياة الأحسن سينالون نفس النصيب الذى سيناله الباقون ، ويرفض القديس هذا الفكر .

الإتجاه الثانى: يفسر قول الرسول «ولكن مثل هؤلاء يكون لهم ضيق فى الجسد وأما أنا فإنى أشفق عليكم» على أنه إدانة للزواج ويرفض القديس هذا الفكر ايضاً .

فكلا الأمران خطأ:

إذ أنه من الخطأ أن نساوى بين الزواج والبتولية المقدسة .

ومن الخطأ ايضاً أن ندين الزواج .

فالبعض من فرط محبتهم للبتولية اعتبروا الزواج أمراً مكروهاً بل وحتى زنى ، والبعض الآخر ، فى دفاعهم عن الزواج ، جعلوا كرامة البتولية مساوية للزواج ، كما لو كان صلاح سوسنة هو التقليل من مجد وكرامة مريم ، أو كأن صلاح مريم ومجدها الأعظم والأحسن لابد أن يكون إدانة سوسنة ، فلا يمكن لسوسنة التى أنقذها دانيال من العقاب أن يضعها بولس فى الجحيم .

يرى القديس أغسطينوس أنه لو كان الزواج خطية لما كان هناك داع لمدح البتولية بل لكان يكفى أن لا تُلام: «إننا بحسب الإيمان والعقيدة الصحيحة من الكتاب المقدس نقول أن الزواج ليس خطية ، ومع ذلك نكرر أن صلاحه أقل ليس فقط من البتولية ، بل وايضاً من عفة الترمل» .

ويرى القديس أن الخصيان الذين تحدث عنهم الله على فم أشعياء النبى ، هؤلاء الذين وعدهم بأنه سيعطيهم فى بيته وفى أسواره نصباً واسماً أفضل من البنين والبنات ، هم الخصيان الذين خصوا أنفسهم من أجل ملكوت السموات ، ويرى أن الله سيعطى المتزوجين ايضاً نصباً ، لأنه يقول «نصباً أفضل» ولكن نصب المتزوجين ستكون أقل فى المجد ، ولكن هؤلاء الخصيان ليسوا فى الجسد فقط بل قد اقتلعوا من نفوسهم كل جذور الشهوة ويحيون حياة سمائية ملائكية فى حياتهم الأرضية الزائلة .

ولكى لا يظن أى إنسان أنه سيكون فى الأبدية أى شئ من هذه الأشياء الزائلة ، لذلك اضاف الرب «اعطيهم اسماً أبدياً لا ينقطع» (أشع٥٦: ٤، ٥). وهذا الاسم الأبدى الذى لن ينقطع يدل على المجد الخاص الفائق الذى لن يكون للجميع ، مع أنهم جميعاً فى نفس الملكوت ، ولعله دُعى «اسم» لأنه يميز هؤلاء الذين يُعطى لهم عن الباقين .

ويدعو كاتبنا قديسى الله الفتيان والفتيات ، الرجال والعذارى أن يثبتوا فى بتوليتهم حتى النهاية ، وأن يمجدوا ويسبحوا الله الذى يتأملون فيه ويخدمونه ويحبونه ويجاهدون لينالوا مرضاته ، ويدعوهم لأن ينتظروا الرب بمصابيح موقدة مضيئة حتى يقابلوه عندما يأتى من العرس ، لأنهم سيسبحون تسبحة جديدة فى عرس الحمل على قيثاراتهم ، تسبحة لا يستطيع أن يترنم بها أى أحد سواهم ، لأن ذاك التلميذ الذى أحبه الحمل أكثر من الآخرين والذى اعتاد أن يسند رأسه على صدره قد رأهم فى سفر الرؤيا ، إذ رأى هذا المحبوب (يوحنا الحبيب) أثنى عشر مرة اثنى عشر ألفاً من عازفى القيثارة القديسين الذين يحفظون بتولية الجسد نقية ويحفظون نقاوة الحق فى قلوبهم ، وكتب عنهم أنهم سيتبعون الحمل إينما ذهب ، ويتساءل أغسطينوس: إلى أين سيمضى هذا الحمل؟ إلى أى مروج سيمضى؟.. ثم يجيب: سيمضى إلى حيث الخضرة هى أفراح ، ليست أفراح باطلة مثل تلك التى للعالم ، ولا أفراح مثل تلك التى ستكون فى ملكوت الله المُعد للباقين الذين ليسوا عذارى ولا متبتلين ، بل هى أفراح مميزة عن أفراح الباقين

ففرح العـذارى هـو فـرح المسيح ، فى المسيح ، مع المسيح ، بحسب المسيح ، بالمسيح ، ومن أجل المسيح ، وأفراح عذارى المسيح تختلف عن تلك التى لهؤلاء الذين ليسوا عذارى رغم أنها ايضاً أفراح المسيح..

ويحث القديس العذارى «اذهبن اتبعن الحمل لأن جسد الحمل بالتأكيد هو بتول» ويدعيهن أن يتبعن المسيح حافظات بتولية قلوبهن وأجسادهن إينما ذهبن ، ويشرح أن التبعية ليست إلا إقتداء ومحاكاة .

أمـا المؤمنون الذين فقـدوا بتوليتـهم فيدعوهم القديس لأن يتبعوا الحمل ولكن ليس حيثما يمضى بل حيثما يستطيعون هم الذهاب وراءه ، وهم يستطيعون أن يتبعوه فى كل مكان إلا عندما يمشى فى مروج البتولية ، ويرى القديس أن كل المسيحيين يتبعون المسيح ولكن المتبتلين يضعون أقدامـهم ويسيرون على أثار أقدام المسيح *footprints* بينما المتزوجون يسيرون فقط فى الطريق ولكن ليس على أثار أقدام المسيح .

ويشرح القديس أن الحمل يسير فى طريق عذراوى لذا لا يستطيع هؤلاء الذين فقدوا بتوليتهم أن يتبعوه ، ويحث عذارى المسيح أن يتبعوه إينما يمضى ، ويشرح أن باقى المؤمنين الغير متبتلين يفرحون مع المتبتلين ولن يحسدونهم لأنهم يرون فيهم ما ليس فيهم هم أنفسهم ، ومع أن التسبحة الجديدة يسبحها المتبتلون فقط إلا أن غير المتبتلين لن يكونوا عاجزين عن أن يسمعوا...

ويحث القديس أغسطينوس المتبتلين والعـذارى على التواضـع لأنهم عندمـا يقارنـون أنفسـهم بالمتزوجـين سيجدون أنـهم أفـضل منـهم بحسب تعليم الكتاب المقدس ، وأن الآخرين أقل منهم فى الأعمال والجعالة ، لذا يجب أن يعلموا أنه بقدر عظم الإنسان بقدر ما يجب أن يتـضع ، فمقدار ومعـيار الإتضـاع قد أُعطى من مقدار ومعيار العظمة والكرامة .

ويحذر القديس أغسطينوس قائلاً: «لأن العفة الدائمة وخاصة البتولية هى الصلاح الأعظم فى قديسى الله ، لذا يجب أن ينتبهوا بحذر وتيقظ من أن تفسد بالكبرياء والعجب» .

وصفوف العـذارى والمتبتلين ، الأولاد والفتـيات القديسين ، قد تدربـوا فى الكنيسة

المقدسة ، فهناك كانوا يزهرون ويينعون من صدر أمهم ، لأن اسم الرب جعل لسانهم يتحدث ، ولأن اسمه ، كما لو كان لبن الطفولة ، قد انسكب داخلهم ورضعوه ، فهؤلاء نذروا لا خوفاً من عقاب أُعلن ، بل من أجل جمالة مُدحت ، من أجل ملكوت السموات..

وفى مناجاة رائعة يقول ابن الدموع:

«إنهم أبرار ولكنهم ليسوا مثلك يبررون الخطاة
إنهم عفيفون ولكن بالآثام حملتهم أمهاتهم فى أرحامهن
إنهم قديسون ولكنك أنت قدوس القديسين
إنهم متبتلون ولكنهم لم يولدوا من عذارى
إنهم عفيفون كلية فى الجسد ، ولكنهم ليسوا الكلمة الذى صار جسداً» .

ويتساءل القديس: «أى أعضاء من الجسد المقدس الذى هو الكنيسة يجب أن تخترس ـ لكى يستريح فيها الروح القدس ـ أكثر من تلك التى نذرت القداسة العذراوية؟» .

وينصح القديس الفيلسوف عذارى المسيح أن أول فكر يقودهن للتواضع هو ألا يظنن أنهن عذارى من أنفسهن بجهادهن فقط بل هى «عطية صالحة... من فوق نازلة من عند أبى الأنوار الذى ليس عنده تغيير ولاظل دوران» (يع١ :١٧) .

ويرى القديس أنه لا أحد يحرس البتولية إلا الله نفسه الذى يهبها ، والله محبة ، إذاً **حارس البتولية هو المحبة** .

مراجع الباب الثانى

١) القديس ميثوديوس: وليمة العشر عذارى

The Banquet of The Ten Virgins, The Ante-Nicene Fathers, Vol.VI.

٢) القديس كبريانوس: ثياب العذارى

On The Dress of Virgins, The Ante-Nicene Fathers, Vol. V. p.430-436.

٣) القديس اغريغوريوس النيصى: عن البتولية

On Virginity, A Select Library of Nicene and Post Nicene Fathers of The Christian Church, Vol.V, p.343-371.

٤) القديس امبروسيوس: عن العذارى

On Virgins, A Select Library of Nicene and Post Nicene Fathers of The Christian Church, Vol.X, p.361-391.

٥) القديس چيروم: الرسالة إلى استوكيوم

Letter To Eustochium, Ancient Christian Writers, The Letters of St. Jerome,Vol.I, Letter 22, p.134-179.

٦) القديس أغسطينوس: عن البتولية

On Virginity, A Select Library of Nicene and Post Nicene Fathers of The Christian Church, Vol.X, p.417-438.

الخلاصة

اعطى الآباء اهتماماً خاصاً للبتولية ، وهذا يُفسر جزئياً بأن الرهبنة كانت الحدث المهم فى عصر الآباء الذهبى ، لأن الرهبنة كانت بنظرهم الحياة الإنجيلية المثلى... ومع ذلك كتب الآباء كتابات عميقة عن الزواج لأنهم عاشوا ما يرمز إليه الزواج ، فى العرس السرى ، حيث العروس التى لا عريس لها ويسمى عرسها عرساً بتولياً بالإتحاد بالله .

رأى الآباء أن البتولية ليست جدباً أو عقماً إنما هى حياة ملؤها الخصب والنماء تحفظ تمامية الإنسان فى سمو وقداسة ، معتبرين أنها عطية روحية وحياة ملائكية وتبعية للحمل أينما ذهب ، لذلك هى هبة ليست للجميع بل للذين أُعطى لهم .

ويرى آباء الكنيسة أن البتولية إحدى صور الحياة المسيحية ، فهى ليست صورة عامة ولكنها صورة خاصة ، تنشأ بالروح القدس فى حياة المدعوين لها ، وركز الآباء على أن البتولية تعتبر علامة القيامة من الموت وعلامة البنوة الكاملة ، حتى أن بعض الآباء اعتبر أنها السر الثامن من أسرار الكنيسة .

وعند كل الآباء تعتبر البتولية علامة القيامة ، والبتوليون هم الذين فعلاً قاموا من بين الأموات بينما هم لا زالوا فى الجسد ، والروح القدس الفاعل فى الأسرار يزرع فيهم هذه الطبيعة الفائقة ، طبيعة القيامة ، فالبتولية سمة العالم الجديد وبداية الملكوت وقانون الحياة الأبدية ، طريقها سماوى ملائكى ، والسالكين فيها بشر سمائيون وملائكة أرضيون ، شريطة ألا تكون وضعاً خارجياً بل حالة كمال حقيقى وتبنى لطبيعة العادمى الأجساد ، جحود فائق للطبيعة ومنافسة عجيبة للملائكة .

أوصى الآباء الذين يحيون حياة البتولية أن لا ينتفخوا بسبب بتوليتهم أمام السالكين فى ممرات الزيجة التى هى أقل ، إذ لا ينبغى على من يملك ذهباً أن يحتقر الفضة ، فلا معنى لبتولية الجسد بدون بتولية القلب وتكريس كل الطاقات للعبادة والخدمة .

وعرّف الآباء نذر البتولية بأنه حياة عدم الفساد ورباط الإتحاد بين الالوهية والبشرية وزيجة روحية يقتنى بها البتول أجنحة روحانية ويطير ليسكن فى نور البتول ابن البتول

كواحد مختار من الناس المختارين وكمعدود ضمن الطغمات السمائية صاحب النصيب الأمجد فى قطيع المسيح .

ويرى الآباء أن البتوليين هم زهور الكنيسة ، جمال وزينة ونعمة الروح ، صورة الله التى تعكس قداسته ، الجزء الأكثر لمعاناً فى قطيع المسيح المثمر المجيد ، ويتمثل جمال الحياة البتولية فى عمقها فى علاقة شخص الرب يسوع بعروسه البتول .

ويرى الآباء الأولون أن الطوباوية مريم العذراء هى نموذج ومثال البتولية ، وهى معلمة البتولية والطهارة ، ونذر بتولية العذراء الذى وضعته فى قلبها جعل البتول يحل فيها ليقدس فيها حياة البتولية ، وليؤكد بتولية القلب التى يريدها للكنيسة خلال بتولية جسد مريم .

فالمسيح نفسه بتول وأمه بتول ، نعم مع أنها أمه لكنها لا تزال بتولاً ، إذ دخل يسوع فيها خلال الأبواب المغلقة... ونحن أولاد الملك البتول الذى تم فيه القول أن البتول سلم البتول إلى البتول فاستراح المثيل إلى مثيله (يو١٩ :٢٦) نسأله أن يبعث فى أعضاء جسده إمكانية حياة البتولية التى هى شريعة السماء ليصير هو السيد البتول راعياً للبتوليين ، متحداً بنا مُصيراً كل ما فينا بتولاً... معطياً إيانا الفكر البتولى والقلب البتولى والحواس البتولية .

الفهرس

مقدمة ٥

الباب الأول : البتولية فى فكر الآباء ٩

الفصل الأول: البتولية عند الآباء الرسوليين والمدافعين ١٠

الفصل الثانى: البتولية عند آباء الاسكندرية ١٦

الفصل الثالث: البتولية عند الأقمار الثلاثة ٢١

الفصل الرابع: البتولية عند الآباء السريان ٢٧

مراجع الباب الأول ٣٣

الباب الثانى : كتابات الآباء عن البتولية ٣٥

الفصل الأول: القديس ميثوديوس «وليمة العشر عذارى» ٣٦

الفصل الثانى: القديس كبريانوس «ثياب العذارى» ٧٤

الفصل الثالث: القديس اغريغوريوس النيصى «عن البتولية» ٨٦

الفصل الرابع: القديس امبروسيوس «عن البتولية» ٨٩

الفصل الخامس: القديس جيروم «الرسالة إلى استوكيوم» ١٠٧

الفصل السادس: القديس أغسطينوس «عن البتولية» ١١٦

مراجع الباب الثانى ١٢٤

الخلاصة ١٢٥

اقرأ ايضاً من إصدارات اخثوس IXΘYΣ

١) كتاب «التربية عند آباء البرية»

يتضمن دراسة وافية عن الأنشطة التربوية فى الكنيسة الأولى ، موضحاً دور الأسرة ودور الكنيسة فى التربية ، كما يشرح أهم النظريات التربوية عند الآباء والتى تشمل «الوراثة والبيئة ، النعمة الإلهية ، إمكانية التربية ، هدف التربية ، الحياة النسكية كوسيلة للتربية» وكذلك يتناول العلاقة بين الأب الروحى وتلميذه وسمات كل منهما ودوره وطبيعة العلاقة بينهما ، بجانب أنه يؤرخ للوسائل التعليمية ووسائل الإيضاح التى استخدمها آباء الكنيسة فى تربية تلاميذهم ، واخيراً يناقش موقف الآباء من الثقافة وتأثيرهم فيها ، ودور المدارس الرهبانية فى التربية فى العصر الآبائى .

٢) كتاب «سيكولوچية الاعتراف»

يُعد هذا الكتاب أول دراسة سيكولوچية نفسية لسر الاعتراف ، وهو يتناول المفاهيم السيكولوچية عن الخطية والذنب ودور أب الاعتراف وتأثيرات هذا الدور من منظور سيكولوچى ، وأوجه التشابه والإختلاف بين الاعتراف والعلاج النفسى ، كما يشرح الأبعاد السيكولوچية للحل والمغفرة وحاجات المعترف النفسية ، وايضاً يفحص سر الاعتراف كوسيلة للتغيير والتحول نحو المسيح وكإكتشاف للاشعور ، ثم يوضح دور الكاهن كخديم لسر الاعتراف وكمعالج للمعترف .

وبالجملة تقدم هذه الدراسة فكرة متكاملة عن الممارسة السليمة لسر التوبة والاعتراف فى كنيستنا الارثوذكسية ...